OPEN ACCESS
Received: 16 -07 -2025
Accepted: 11- 09-2025

الآداب
للدراسات اللغوية والأدبية

Semiotics of Enunciative Modulation in Selected New Yemeni Novels

Ebrahim Ahmad Ali Thabit *
eathabit@gmail.com

Abstract

This study examines the semiotics of enunciative modulation in the corpus of the new Yemeni novel as a pragmatic strategy that transforms the written text into a speech event and grants speaking subjects an active presence that directs the generative trajectory of the narrative. It adopts a semiotic–pragmatic approach to the operation of speech acts and deictic competences in three novels—*Fruit for Crows* (*Fakihah li-l-Gherban*), *A Land without Sky* (*Bilad bila Sama'*), and *Aqilat*—in order to reveal how the enunciator exercises discursive power to reshape the addressee's competence and impel them toward specific forms of response and action. The study is structured into an introduction, a theoretical preface, and three analytical sections on ideological and seductive modulation in *Fruit for Crows*, coercive and mental modulation in *A Land without Sky*, and directive and resistant modulation in *Aqilat*. The analysis shows the diversity of enunciative strategies—from ideological and seductive to cognitive, mental, coercive, and resistant—through the deployment of verification mechanisms, popular heritage, dream sequences, and social argumentation to construct possible worlds. The study concludes that enunciative modulation functions as a complex contractual structure that goes beyond a purely informational role to found intersubjective relations that generate meaning and interpretive effect, thereby enriching critical readings of the contemporary Yemeni novel from the perspective of speech semiotics.

Keywords: Enunciative Modulation, Speech Semiotics, New Yemeni Novel, Speech Acts, Ideological Modulation.

* PhD Scholar in Literature and Criticism, Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Humanities and Social Sciences, King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia.

Cite this article as: Thabit, E. A. A. (2025). Semiotics of Enunciative Modulation in Selected New Yemeni Novels, *Arts for Linguistic & Literary Studies*, *7*(4): 9 -36. **https://doi.org/10.53286/arts.v7i4.2927**

© This material is published under the license of Attribution 4.0 International (CC BY 4.0), which allows the user to copy and redistribute the material in any medium or format. It also allows adapting, transforming or adding to the material for any purpose, even commercially, as long as such modifications are highlighted and the material is credited to its author.

الآداب
للدراسات اللغوية والأدبية

OPEN ACCESS
تاريخ الاستلام: 2025/07/16م
تاريخ القبول: 2025/09/11م

سيميائية التطويع التلفظي في نماذج من الرواية اليمنية الجديدة

إبراهيم أحمد علي ثابت*
eathabit@gmail.com

ملخص:

تتقصى هذه الدراسة سيميائية التطويع التلفظي في المدونة الروائية اليمنية الجديدة بوصفه استراتيجية تداولية تحول النص إلى حدث كلامي وتمنح الذوات المتلفظة حضورًا فاعلًا يوجه المسار التوليدي. يعتمد البحث مقاربة آليات اشتغال الأفعال الكلامية والكفايات الجهية في روايات؛ فاكهة للغربان، وبلاد بلا سماء، وعقيلات؛ للكشف عن كيفية ممارسة المتلفظ سلطته في تحويل كفاية المتلفظ له ودفعه نحو الإنجاز. توزّع هذا البحث على مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث ونتائج، وقد استعرض التمهيد ماهية التطويع التلفظي وأنواعه ومقوماته، والأفعال الكلامية ومنزلتها في الخطاب الروائي. أما المباحث فهي: التطويع الأيديولوجي والاستهوائي في فاكهة للغربان، والتطويع التسلّطي والذهني في بلاد بلا سماء، ثم التطويع التوجيهي والمقاوم في عقيلات. وأظهر البحث تباين استراتيجيات التطويع بين الإيديولوجي الاستهوائي والمعرفي والذهني والتسلطي والمقاوم وتوظيف آليات التحقق، والموروث الشعبي والحلم، والحجاج الاجتماعي لبناء عوالم ممكنة. وتوصل البحث إلى أن التطويع التلفظي يمثل بنية تعاقدية مركبة تتجاوز الوظيفة الإخبارية لتأسيس علاقات بينذاتية منتجة للدلالة وأثر المعنى، مما أسهم في إغناء القراءة النقدية للنص الروائي اليمني من منظور سيميائيات الكلام.

الكلمات المفتاحية: التطويع التلفظي، سيميائية الكلام، الرواية اليمنية الجديدة، الأفعال الكلامية، التطويع الأيديولوجي.

* طالب دكتوراه في الأدب والنقد، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.

للاقتباس: ثابت، إ. أ. ع. (2025). سيميائية التطويع التلفظي في نماذج من الرواية اليمنية الجديدة، *الآداب للدراسات اللغوية والأدبية*، *7*(4): 9- 36. https://doi.org/10.53286/arts.v7i4.2927

© نُشر هذا البحث وفقًا لشروط الرخصة Attribution 4.0 International (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أُجريت عليه.

مقدمة:

تمثل الرواية اليمنية الجديدة تحولًا نوعيًا في البنية السردية والخطابية حيث تجاوزت الأنماط التقليدية لترتاد آفاقًا تجريبية مغايرة. وقد شهدت تحولات جوهرية غدا الكلام فيها فاعلًا سيميائيًا مركزيًا يسهم في تحريك البرامج الحكائية وتوجيه التأويل، ويعتمد هذا الاتجاه الروائي استراتيجيات تلفظية مغايرة تمنح الذوات التلفظية حضورًا فاعلًا وتجعل من الكلام أداة لبناء العوالم الممكنة وتشكيل المعنى وإنتاج آثاره. وفي هذا السياق ينظر إلى الملفوظات الروائية بوصفها أفعالًا إنجازية تمارس سلطة وتأثيرًا على المتلفظ له. وهنا يبرز مفهوم التطويع التلفظي أداة إجرائية ناجعة لمساءلة هذه النصوص الروائية. يتموضع التطويع التلفظي في مركز الخطاطة الحكائية بوصفه مرحلة أولية سابقة للفعل ومؤسسة له. فهو استراتيجية تداولية يمارسها المتلفظ على المتلفظ له بغية دفعه إلى تبني قناعات معينة أو الانخراط في إنجاز برنامج سردي محدد، وتنهض هذه العملية على جدلية دقيقة بين الفعل الإقناعي الذي يمارسه المتلفظ والفعل التأويلي الذي يضطلع به المتلفظ له محكومين في ذلك بتبادل الكفايات الجهية من رغبة وقدرة ومعرفة ووجوب.

لقد اهتمت المقاربات النقدية للرواية اليمنية الجديدة بدراسات تقنيات السرد ووجهة النظر والسوسيونقدية والعنف والتناص والتحولات وسيمائيات الأهواء أو العمل أو العنونة. وركزت الدراسات السابقة للروايات الثلاث المختارة على الجوانب الاجتماعية والفنية والسردية، مع معالجة قضايا الهوية، وتقنيات السرد، والخطابات والتناص، والمرأة وموضوع القيمة مستثمرة سيميائية العمل. بينما اتسم حقل سيميائيات التطويع التلفظي والكلام بمحدودية التراكم على المستويين اليمني والعربي.

ويمثل مشروع الناقد محمد الداهي (2006ب؛ 2011) المرجع التأسيسي لهذا الحقل النقدي، وفق ما وقف عليه الباحث. وتأتي هذه الدراسة لاختبار فاعلية هذا الإطار المفاهيمي على المتن الروائي اليمني الجديد، ومحاولة سد الفجوة المعرفية في استكشاف سلطة التلفظ وآليات التأثير؛ للكشف عن كيفية استثمار أفعال الكلام والحجاج والكفايات وتوزيعها لتوليد أثر المعنى وإبراز الكيفية التي تتحول بها اللغة من وسيلة تواصل إلى سلطة رمزية تعيد تشكيل ذوات التلفظ وتوجه مساراتها داخل النص.

حظيت الرواية اليمنية بمقاربات نقدية متعددة، لكن على الرغم من هذا التراكم النقدي فقد ظل مرتهنًا لسلطة المتن الحكائي، مركزًا على الأبعاد المضمونية والفنية، في حين بقي البعد التلفظي، وتحديدًا استراتيجيات التطويع، من المناطق البكر التي تحتاج إلى اختبار كفايتها الإجرائية. وتكمن المشكلة البحثية في الحاجة إلى تجاوز النظر إلى الملفوظات الحوارية والسردية والوصفية بوصفها تأثيثًا جماليًا وفنيًا وعناصر تزيينية، وعدّها أفعالًا سيميائية تنجز تحولات فعلية في المسار الحكائي، ومن هنا ينهض البحث لمساءلة سلطة التلفظ داخل النص الروائي اليمني الجديد، حيث يبرز **السؤال الإشكالي الرئيس**: كيف يشتغل التطويع التلفظي بوصفه استراتيجية تداولية لتحيين الكفاية الجهية للمتلفظ له، وتحريك البرامج الحكائية داخل الخطاب الروائي اليمني الجديد؟ وتتفرع عن هذه الإشكالية قضايا تتعلق بمدى قدرة المتلفظ على ممارسة الفعل الإقناعي وحمل الآخر على الفعل عبر آليات اللغة وحدها.

وينبثق من هذا السؤال الرئيس مجموعة من الأسئلة الفرعية الآتية:

- ما هي التمظهرات الخطابية للتطويع التلفظي في الرواية اليمنية الجديدة، وكيف تتحدد العلاقة بين الذات المُطوِّعة والذات المُطوَّعة؟

- كيف تُستثمر أفعال الكلام بوصفها أدوات إنجازية لتعزيز سلطة التلفظ وبناء الميثاق التلفظي داخل النص الروائي اليمني الجديد؟

- ما هي الآليات التداولية والحجاجية التي يستند إليها المتلفظ لممارسة الفعل الإقناعي وحمل المتلفظ له على الاعتقاد أو الفعل في الرواية اليمنية الجديدة؟

- إلى أي مدى يسهم التطويع التلفظي في تفريد الفواعل ومنحها خصوصية سيميائية تميزها داخل الرواية اليمنية الجديدة؟

يسعى البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- مساءلة مفهوم التطويع التلفظي سيميائيًا وتداوليًا، واستجلاء حدوده مع مفاهيم: الإغراء والتحريك والتسخير، وكيفية اشتغاله بوصفه أداة لتحويل الكفاية إلى إنجازات للذات.

- تبيان دور الكلام في نقل الذات من حيز الشعور والإرادة إلى حيز التحقق والفعل.

- استقصاء الاستراتيجيات والآليات التلفظية (أفعال الكلام، الجهات، الحجاج، توظيف المتخيل) التي يعتمدها المتلفظ لممارسة سلطته الرمزية في النصوص المختارة.

- تحليل البنية التعاقدية والجهية للتطويع، والكشف عن كيفية تلاعب الذوات بجهات الرغبة والمعرفة والقدرة؛ لتعزيز حضورها وتأثيرها الكلامي في النصوص المختارة.

- استجلاء دور التطويع التلفظي في توسيع الأبعاد الدلالية والتواصلية للنص وصولًا إلى إنتاج أثر المعنى.

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من مقاربتها البعد التداولي والتلفظي للنصوص الروائية اليمنية، بتركيزها على مفهوم التطويع التلفظي بوصفه عملًا سيميائيًا يمنح الخطاب فاعليته وتأثيره، وتستمد الدراسة وجاهتها من ندرة الأبحاث التي تتناول كيفية استثمار الرواية اليمنية لسلطة الكلام وآليات الإقناع والتأثير في توجيه المتلقي وبناء المعنى وإنتاج آثاره. وقد تسهم هذه المقاربة في إرساء دعائم سيميائية الكلام الروائي -التي خطها محمد الداهي- عبر اختبار كفايتها الإجرائية بالتطبيق على متون روائية يمنية جديدة، مما قد يكشف عن الثراء الكلامي لهذه النصوص وقدرتها على توظيف الاستراتيجيات التلفظية لتعزيز حضور الذات وبناء عوالمها الممكنة. وقد يفتح هذا البحث آفاقًا نقدية جديدة للفت النظر إلى سلطة التلفظ، ودورها في تشكيل خطاب الرواية. إضافة إلى الكشف عن سلطة التلفظ في الرواية اليمنية الجديدة، وبيان كيف تتحول اللغة من وسيلة تواصل إلى أداة للهيمنة أو المقاومة، وهذا ما يبرز الخصوصية السيميائية لهذه النصوص. كما أن هذه الدراسة قد تسهم في تقديم قراءة مغايرة، تتجاوز سيميائية العمل التقليدية إلى سيميائية الكلام وأثر المعنى، لتفتح آفاقًا جديدة لفهم ديناميات الخطاب الروائي.

تتحدد مسارات البحث ضمن حدود موضوعية تعنى بسيميائية التطويع التلفظي، وتتأطر نصيًا بثلاث روايات يمنية صادرة خلال العقود الأولى من القرن الحادي والعشرين، وهي: فاكهة للغربان لأحمد زين، وبلاد بلا سماء لوجدي الأهدل، وعقيلات لنادية الكوكباني. وقد تأسس هذا الاختيار على جملة من المعايير المنهجية التي ترتبط مباشرة بطبيعة التحليل السيميائي التداولي، وتتيح لنا تبيان ما تتسم به بنياتها التحدثية من سمات مشتركة، إذ تلتقي هذه النصوص في بروز البعد التلفظي الذي يرتقي بالكلام ليكون هو الحدث الفاعل، ويغدو أداة استراتيجية توظفها الذوات في ممارسة التطويع والتطويع المناوئ، مما يسعف في استنتاج أنماط التطويع التلفظي ومتغيراته.

وتتمثل هذه المعايير في الآتي:

أولًا: الجدة والتحول النوعي في البنية السردية والخطابية للرواية اليمنية، إذ تباينت هذه الروايات المختارة مع الرواية اليمنية التقليدية بطرحها خطابات جديدة ورؤى متباينة حول المسكوت عنه والهامشي ومساءلة التاريخ، مما منحها نطاقًا واسعًا خالفت فيه الخطاب السائد.

ثانيًا: التنوع الموضوعي والخطابي الذي يخدم التحليل عبر تقديم نماذج متباينة، فنجد الخطاب الساخر والنقدي وانهيار السرديات الكبرى في فاكهة للغربان، وخطاب الأنثى وسلطة البوح والميتاسرد في رواية عقيلات، وتعددية الأصوات والعجائبية في بلاد بلا سماء.

أما المعيار الأهم فيرتبط بتباين استراتيجيات التطويع التلفظي الظاهرة في كل منها، مما يضمن الشمولية المنهجية ويسمح باختبار آليات التحول في الكفاية الجهية للذوات ضمن سياقات مختلفة، حيث جاء ترتيب الروايات ليتبع مسار هذا التباين، فقد تُمثل كل رواية بؤرة تركيز لنوع رئيس أو أكثر من التطويع (الاستهوائي، المعرفي، التسلطي، الذهني، التوجيهي) لضمان استجلاء تعدد أنواعه، والكشف عن قدرة هذه النصوص على تمثيل اشتغال الميثاق التلفظي، وألاعيب الحقيقة بشكل جلي.

يعتمد هذا البحث المنهجَ السيميائي، وتحديدًا سيميائية الكلام الروائي، كما طوّره محمد الداهي، استنادًا إلى مقولات مدرسة باريس، مستفيدًا من أدوات التداولية وتطبيقاتها في تحليل الخطاب. ويستند هذا الإجراء المنهجي إلى الوصف والتحليل لمقاربة النصوص الروائية المختارة عبر خطوات إجرائية متضافرة؛ تبدأ بضبط أطراف العملية التواصلية (المتلفظ - المتلفظ له) وطبيعة الميثاق التلفظي القائم بينهما، مرورًا برصد المقاطع التلفظية الدالة عبر استخراج الوحدات الكلامية التي تمارس فعلًا إنجازيًا يُحدث تحولًا في مسار التلفظ.

وينتقل التحليل بعد ذلك إلى تصنيف أنواع التطويع واستراتيجياته الخطابية، وتتبع التحولات الجهية التي تطرأ على الذوات الفاعلة عبر تغيير حالات (الرغبة، والوجوب، والمعرفة، والقدرة)، وصولًا إلى تفكيك مربع التحقق عبر مساءلة جدلية الكينونة والظهور، والسر والكذب، للكشف عن آليات إنتاج الحقيقة أو تزييفها داخل النص. وتُختتم هذه الإجراءات باستخلاص آثار المعنى والجزاء، عبر بيان النتائج التداولية والسيميائية لعملية التطويع، سواء كانت نجاحًا في الإنجاز أو فشلًا، وتحديد طبيعة ذلك الجزاء. وتهدف هذه المقاربة، في مجملها، إلى تحليل البنيات الخطابية بوصفها فضاءً لاشتغال آثار المعنى، واستجلاء استراتيجيات التطويع التلفظي التي تُحيّن القيم المجردة وتنقلها من مستوى العمق إلى مستوى التداول.

توزّع هذا البحث على مقدمة وتمهيد. استعرض التمهيد ماهية التطويع التلفظي وأنواعه ومقوماته، والأفعال الكلامية ومنزلتها في الخطاب الروائي. أما المباحث فهي: التطويع الأيديولوجي والاستهوائي في فاكهة للغربان، والتطويع التسلّطي والذهني في بلاد بلا سماء، ثم التطويع التوجيهي والمقاوم في عقيلات. ثم نتائج البحث.

تمهيد:

ماهية التطويع التلفظي:

يتمثل التطويع التلفظي في السيميائية من خلال ما طرحه ألجيرادس قريماس (Algirdas Julien Greimas) وجوزيف كورتيس (Joseph Courtés) في كتابهما، السيميائيات؛ المعجم المعلل في نظرية اللغة، تحت مسمى الاستعمال، وأطلق عليه محمد الداهي مصطلح التطويع التلفظي، حيث يحضر التطويع داخل الخطاطة الحكائية السيميائية؛ مرحلة أولية سابقة عن الفعل، ومحددة له من باب الافتراض والتقدير (الداهي، 2006ب، ص 46). ويرى الداهي أن التطويع يعد مرحلة أساسية

لتحريك الأحداث وتعبئة البرامج الحكائية. ويتميز التطويع أو الاستعمال بكونه عملًا تأثيريًا تمارسه الذات على الآخرين بهدف جعلهم ينفذون برنامجًا محددًا (قريماس وكورتيس، 2020، 296؛ الداهي، 2006 ب، ص 103).

كما أنه عمل ذو بعد أحادي مشروط بقدرة المطوِّع على تطويع المطوَّع؛ والعكس غير صحيح. وبهذا المعنى فالتطويع "ليس وحدة تفاعلية أو حوارية. وحتى في حالة وجود التطويع المتبادل، فإن الأمر يتعلق بتطويعين متوازيين" (الداهي، 2006 ب، 103). يتحول هذا المفهوم السيميائي (التطويع بوصفه فعلًا لجعله يفعل) إلى تطويع تلفظي عندما تصبح اللغة، وما تحمله من أفعال كلامية وكفاية لغوية، هي الأداة الرئيسية للمرسل في تحقيق برنامجه الحكائي.

فالكلام هنا هو القوة الإنجازية التي تهدف إلى تحويل كفاية المتلفظ له من مجرد الوجود إلى الفعل، مما يربط التطويع في أصله العملي بتحققه اللغوي. ويعد هذا التطويع "عملًا مقاصديًا intentionnel تشترك فيه الذوات؛ وتكون اندلاليته [Signifiance] مبدئيًا غير مصرح بها ومعبر عنها" (Parret, 1986, p 99؛ الداهي، 2006ب، ص 103)، فالتطويع عند باريت فعل مقاصدي متوازٍ يفتقر إلى التفاعلية. ويرى الداهي أن التطويع ليس عملية عفوية أو غير واعية، لكنه فعل واعٍ وهادف يتم بنية وقصد من الفاعل، فكل طرف يُسهم في التطويع من خلال فهمه وتفسيره الخاص، ويتطلب التطويع تحليل المسار الحكائي الذي تُعبّر فيه الذوات عن مقصديتها لفهم ديناميكية السرد حيث "يمكن لظاهرية التطويع أن تَتَسَمْيَأَ بمجرد أن ينحصر اهتمامنا في الطريقة التي تتجسد فيها تلك المقصدية في شكل مسار أو برنامج حكائي" (Parret, 1986, p 100؛ الداهي، 2006 ب، ص 103)؛ لذا، فإن التطويع فعل يمارس على الآخر بقصد دفعه إلى تنفيذ برنامج محدد، يحمل في جوهره بعدًا تأثيريًا أو سلطويًا. ويستند إلى الخطاب بوصفه أداة للإقناع، حيث تتداخل الحجج والأساليب البلاغية والتأطير اللغوي لتوجيه الآخر نحو الامتثال. لكنه لا يقتصر على الإكراه، وإنما يرتكز جزئيًا على بنية تعاقدية تنطوي على اتفاق ضمني أو صريح بين الأطراف، مما يمنحه طابعًا تفاوضيًا أو تحفيزيًا. وبهذا، يصبح التطويع مفهومًا مركبًا يجمع بين السلطة والتأثير والإقناع، مما يجعله أكثر تعقيدًا من كونه فرض الإرادة على الآخر (الداهي، 2006 ب، ص 103). وبناءً على ذلك، فإن التطويع فعل مقاصدي تأثيري يمزج بين السلطة والإقناع ضمن مسار حكائي غير تفاعلي.

يشير الداهي (2006 ب) إلى أن إقناع المتلفظ له يعتمد على مدى تمثله للمعرفة المتلقاة (أنساق الفكر، المعتقدات، طبيعة الذهنيات)، حيث يتولى المتلفظ دفع المتلفظ له للاعتقاد، بينما يستخدم الأخير الاعتقاد لتصديق المتلفظ به أو تكذيبه. أما كريماس فيرى التطويع عملية فعلية تقوم على الرغبة (الإغراء والاستغواء)، والقدرة (الإثارة والتهديد)، والمعرفة (الحجاج المنطقي والبرهنة العلمية).

من ذلك يستنتج أن سيميائية باريس أعطت لجهتي الحمل على الاعتقاد والاعتقاد منزلتين تحدثيتين (التطويع والمجازاة أو التطويع المناوئ)، وربطتهما بالجهات الفعلية (تطويع المتلفظ له للفعل) التي تشمل جهة المعرفة المتمثل في البرهنة والإقناع (قريماس وكورتيس، 2020، ص 297). وبهذا يرى الداهي (2011، ص 112، 113) أن التطويع عملية مركبة تتشابك مع التواصل. فرأي الداهي هنا يربط الإقناع بتمثل المعرفة، بينما رأى قريماس وكورتيس التطويع (الاستعمال) عملية فعلية تجمع الرغبة والقدرة والمعرفة. ويبين الداهي أن التطويع، رغم تشابكه مع التواصل، يظل فعلًا أحاديًا أو متوازيًا في جوهره، بخلاف الحوار التفاعلي.

ويمثل التطويع التلفظي مرحلة أساسية في الخطاطة الحكائية، ويسعى إلى تحفيز الآخر؛ من أجل تنفيذ برنامج سردي محدد. وهو يقابل مصطلح التحريك في سيميائية العمل. ويشتمل التطويع على مقاصد كلامية ضمنية غير مُصرَّح بها، إذ يظهر في صورة مسارات حكائية. يُدرك عبر كينونة الفعل وفعل الفعل؛ مما يسهم في إنشاء مفهوم التطويع في إطار

سيميائي بائن. ذلك أن التطويع السيميائي، بحسب قريماس وكورتيس، بنية تعاقدية يتبادل فيها طرفا التواصل وجهات نظريهما، إذ يسعى المرسل، من موقع سلطته، إلى دفع المرسل إليه (المُطَوَّع) إلى تنفيذ برنامجه الحكائي المعروض عليه (قريماس وكورتيس، 2020، ص 296–299).

ويفترض التطويع "برامج السردية والأفعال المستقبلية وهو الذي يكون وراء انطلاق السرد" (الداهي، 2006أ، 16)، كما يرتبط ارتباطًا جدليًا ومنطقيًا بمرحلة الجزاء (الداهي، 2006ب، 50)، وبهذا فالتطويع يتجاوز كونه طريقة لتحقيق الفعل في السرد، ليغدو المحرك الأساسي لانبثاق الكلام وسيرورته ونموه، والدافع الذي يسهم بالوصول إلى مرحلة الجزاء في البرنامج السردي الذي يخطط له المتلفظ في تحقيق أهدافه والذي يرتبط بمدى استجابة المطوَّع وتقبله له أو رفضه. إذ من خلال "السرد نحب ونكره ونُغري ونُحَفز، وبه نضلل وننشر الدجل والأباطيل" (بنكراد، 2026، ص 7).

ويُبيّن قريماس وكورتيس (2020) أن: "مقصد المتكلم لا يقتضي كفاية المتلفظ فحسب ولكن كفاية المتلفّظ له أيضًا وهو القادر على قبول الملفوظات المقترحة أو رفضها. فمن وجهة النظر هذه، فإن المقبولية ينبغي أن تمكن من التعريف بالكفاية اللغوية في المقام الأول" (ص 15) لإنجاح الكلام. لهذا، فإن التواصل الفعّال بين أطراف التلفظ لا يتعلق بقبول أو رفض كلام المتلفظ في التواصل بكونه إرسالًا واستقبالًا للملفوظ، لكن بوصفه عملية تبادلية يمتلك فيها الطرفان (المتلفظ والمتلفظ له) القدرة على فهم المحتوى التلفظي واستيعابه، مما يسهم في تعزيز التفاعل الكلامي ويحققه (ماتن ورينجهام، 2008، 85). ولا يكون التواصل الفعّال ناجحًا في السرد إلا إذا كان المتكلم قادرًا على تطويع خطابه بأسلوب يؤدي إلى إقناع المتكلم له، وأن يكون لدى الأخير الاستعداد للتأثر والاقتناع بما يطرحه المتكلم، عبر الخطاطة السردية التي تحدث من خلال "تطبيق ترسيمة السرد على البعد التلفظي، فيغدو المتلفظ مرسلًا يمارس عملية تطويع ليَصِل فاعلًا بموضوع، ولديه مرسل إليه يتلقى الرسالة/الملفوظ ويستفيد من عقد الصلة بين الفاعل والموضوع المستهدف. ولأن التواصل يقع على البعد المعرفي كما أشار كورتيس فإن فعل المرسل إقناعي أساسًا أي يقع ضمن التطويع، أما عمل المرسل إليه فيتمثل في فعل الاقتناع"(حضري، 2013، ص 28)، ذلك أن الإقناع هو: "التأثير في رأي الإنسان، وقد يعقب ذلك فعل شيء أو تركه"(بيرلمان وتيتكا، 2023، ص 11، 114)، وبهذا يعتمد التطويع على الكفاية اللغوية والتفاعل التبادلي بين المتكلم والمتلقي، إذ ينجح السرد عبر الإقناع ضمن خطاطة سردية تربط الفاعل بالموضوع.

ويرى رولان بارث (1998) أن اللغة ليست أداة تواصل محايدة، إنها سلطة رسمية تمارس الإخضاع والتوجيه. فاللغة سلطة تشريعية واللسان قانونها، وكل لغة تقوم على تصنيف محكم يوزع المعاني ويفرضها. وبذلك، تنطوي اللغة بنيويًا على علاقة استلاب قاهرة، فالتلفظ ليس تبليغًا بل هو إخضاع وتوجيه في آن واحد (ص 135–136). والكلام فعل تفاعلي يوظفه المتكلم لمواجهة الآخر؛ بغية التأثير فيه وتوجيهه إلى الجهة التي يريدها له.

ويبيّن بورديو (2007) أن السلطة الرمزية مرتبطة بالكلام الاجتماعي عبر الكفاءة اللغوية والقدرة على التأثير بالإبانة والإقناع للآخر بالأفكار بأساليب لغوية وخطابية مناسبة(ص55-56). فهي سلطة تنبع من الكلام، مرتبطة بتوجيه المتلقي وإخضاعه، تؤثر على عاطفة الفرد وذهنه باستخدام أساليب تتستر وراء العادات والتقاليد والقانون، مما يعزز نفوذها. فكلام الذات يرتبط بتلفظها عن الأخرى أو العالم، ويمكن تحليله استنادًا إلى معرفة مضمونه وأسلوبه في الحديث، اللذين يكشفان عن أسلوب حياتها، انتمائها العرقي، أو مستواها الاجتماعي. وقد يشير الكلام الطريف أو النكتة إلى فائض كلامي وطبقة شعبية، بينما يحيل الكلام الرصين وقلته إلى طبقة بورجوازية. وهكذا، يتيح كلام الذوات تفاعلًا تداوليًا ينتج تعددًا في الأصوات والمنظورات، مما يبني سلسلة علاقات بين الذوات (الصافي، 2011، ص 143). ويمكن عبر التطويع تحليل العلاقات

التلفظية وفهم آلية الإقناع أو التأثير أثناء التلفظ، إذ يرى الداهي (2011) أن تعريف التطويع يستتبع الإحالة إلى جهة كينونة الفعل وفعل الفعل. وإن اندرجت الجهتان في مستويين مختلفين (التداولي والمعرفي) فهما يطابقان البنى الجهية الفعلية التي تتشخص معالمها في المربع السيميائي الآتي:

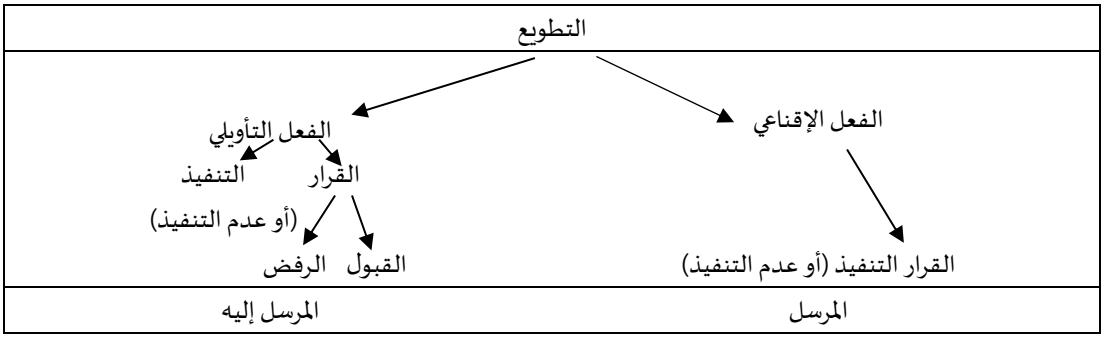

خطاطة التطويع التلفظي (الداهي، 2011، ص 107)

يربط قريماس وكورتيس (2020، 295) التطويع بمفهوم الاستعمال، ويصنفانه على أنه متميز عن العملية التي تعني تأثير الإنسان في الأشياء، بينما الاستعمال هو تأثير الإنسان في آخرين لدفعهم لتنفيذ برنامج معين. ففي العملية يتعلق الأمر بجعله يكون، وفي الاستعمال بجعله يفعل. فهذان النشاطان، الأول يندرج غالبًا ضمن البعد التداولي والثاني ضمن البعد العرفاني، يتوافقان مع أبنية صيغية جعلية. فالاستعمال، عند إسقاطه على المربع السيميائي بكونه حملًا على الفعل أي جعله يفعل، يفتح المجال لأربع إمكانيات هي:

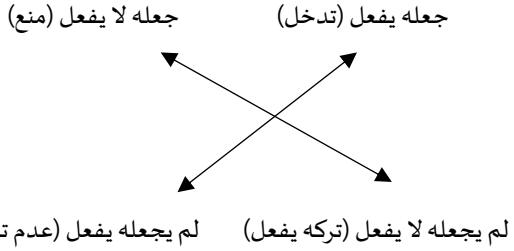

خطاطة تجليات الفعل (قريماس وكورتيس، 2020، 296–297)

يكمن جوهر هذه العملية في تحويل كفاية المُرسَل إليه بوصفه فاعلًا وقدرته على الفعل والتأثير في العالم. فالتطويع التلفظي يتجاوز التأثير اللغوي البسيط، إلى عملية مُعقدة تعتمد على استراتيجيات تلفظية، بهدف إلى التأثير على كفاية المُخاطَب وحمله على تبني مواقف أو سلوكيات مُعينة، ضمن إطار تعاقدي وصيغي مُحدد (قريماس وكورتيس، 2020، ص 297). وبهذا يتبين أن التطويع عملية مركبة تجمع بين تحفيز الفعل عبر الاستعمال، وتحويل كفاية المُخاطَب في إطار تعاقدي، وهنا يظهر دوره المحوري في التواصل والتأثير.

حيث يُحدد المنظور السيميائي للتطويع طبيعته الخطابية، فهو إلى جانب وصفه عملية تواصلية و"تمظهرًا خطابيًا؛ فهو -في الوقت نفسه- يستضمر؛ بنية تعاقدية وبنية جهية" (قريماس وكورتيس، 2020، ص 296–297؛ الداهي، 2006ب، ص 103). وهذا يعني أن التطويع يتضمن بُعدين أساسيين: بُعدًا تعاقديًا وبُعدًا جهيًا. وتُوضح الخطاطة آلية عمل التطويع من

خلال التأثير على حرية المُتلقي، حيث إنه في الواقع يتعلق الأمر بتواصل يدفع من خلاله المرسل المطوّع المرسل إليه المطوَّع إلى موقع انتفاء الحرية (عدم القدرة عدم الفعل)؛ فيجبره على قبول الميثاق المقترح. فكما يتبادر من خلال الوهلة الأولى هو تحيين الكفاية الجهية للمتلقي- الذات: فإذا قرن هذا الأخير جهة عدم الإمكان عدم الفعل بجهة واجب الفعل؛ فإن الأمر يتعلق بالإثارة والتخويف. وإذا قرن الجهة نفسها بالرغبة في الفعل فإن الأمر بالأحرى يتعلق بالإغراء والإغواء الداهي، 2006 ب، ص 102).

وهنا يمكن للتطويع أن يعتمد على التخويف أو الإغراء لتغيير سلوك المُتلقي. لكن هرمان باريت وضع تمييزًا مهمًا بين مفهومي التطويع والإغراء، حيث رأى أن يُبعد الإغراء من نطاق التطويع؛ بسبب شكّه في تطويع المُغرى به لبرنامج تبعًا لجهة الرغبة في الفعل ولمقصدية الفعل. ويقول في هذا الصدد ما يلي: "فإذا لم أقر بأي تشابه بين التطويع والإغراء، فإن المعيار المقاصدي - بالنسبة للذات1 والذات المشاركة2 ليس ملائمًا للتعريف بالإغراء. فهو لا يهم الكفاية المقاصدية للعمل والرغبة التطويعية للمرسل؛ كما لا يهم مقاصدية العمل التي يستضمرها المرسل إليه"(الداهي، 2006ب، ص 102)، فباريت هنا يُركز على اختلاف النوايا والأهداف بين المُطوّع والمُغري، وكذلك بين المُطوَّع والمُغرى به، بوصفها معيارًا فاصلًا بين المفهومين. ففي التطويع، يهدف المُطوّع إلى فرض إرادته بشكل كامل على المُطوَّع، بحيث يُصبح فعل المُطوَّع مُطابقًا تمامًا لرغبة المُطوّع (إجبار). أما في الإغراء، فيُقدم المُغري حوافز أو مُغريات، لكنه لا يُجبر المُغرى به على فعل شيء مُعين، بل يتركه حرًا في الاختيار، حتى وإن كانت هذه الحرية مُوجهة بشكل ما (تشجيع). ذلك أن الإغراء ليس فعلًا بل وعد بالفعل" (بنكراد، 2026، ص 35). فهذا الاختلاف في المقاصدية هو ما يُبرر الفصل بين المفهومين (قريماس وكورتيس، 2020، ص 297–298)، فالتطويع هنا إجبار على الإرادة، والإغراء تشجيع بحرية موجهة.

وفي تحليل التفاعلات التطويعية، نجد أن هذه العملية لا تقتصر على إرسال رسالة من طرف إلى آخر، إنما تتضمن تفاعلًا مُعقدًا بين طرفين، حيث يتطلب التطويع من المتلفظ ممارسة الفعل الإقناعي؛ ومن المتلفظ له الاضطلاع بالفعل التأويلي. ومجلا ذلك فيما يلي (الداهي، 2006ب، ص 104):

أ- يمارس المطوّع فعله الإقناعي مركّزًا على جهة الإمكان. فعلى المستوى التداولي؛ يقترح على المطوع مواضيع إيجابية (القيم الثقافية) أو سلبية (التهديدات). وفي حالات أخرى يقنع المرسل إليه بالمعرفة. أما على المستوى المعرفي؛ فينبغي له؛ إذن، أن يُدرك ما يعتقده (بخصوص كفايته الجهية) في شكل أحكام سلبية أو إيجابية.

ب- يجد المطوّع نفسه يمارس فعلا تأويليا ويختار بالضرورة ما بين صورتين من كفايته (إيجابية في حالة الإغراء وسلبية في حالة الإثارة) أو ما بين موضوعين (إيجابية في حالة الإغراء، وسلبية في حالة التخويف). فالتطويع تفاعل إقناعي تأويلي يتراوح بين الإغراء الإيجابي والتخويف السلبي. فعلى صعيد الكفاية الجهية للمرسل يتوجب مراعاة جهة إمكان الفعل التي تتوزع فضائيا في المواقع الآتية (الداهي، 2006ب، ص 104):

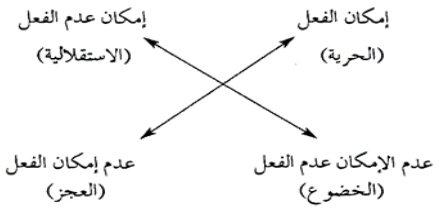

خطاطة مواقع جهة إمكان الفعل (قريماس وكورتيس، 2020، ص 298)

يهتم التطويع بكيفية تأثيره على حرية المتلقي وقدرته على اتخاذ القرارات، ويتخذ أشكالًا مختلفة، مثل الإغواء (بموضوع إيجابي) والتخويف (بموضوع سلبي)، إضافة إلى الاستفزاز، وتتضمن الأبنية الصيغية للمُرسل إليه، بما في ذلك قدرته على الفعل وعدم الفعل، وعلاقتهما بمفاهيم مثل الحرية والاستقلال والطاعة والعجز، ودراسة استعمال الفاعل المضاد واستراتيجياته مثل الاسترجاع والاستقطاب. فالتطويع يشكل حرية المتلفظ له عبر الإغواء أو التخويف، متلاعبًا بين الطاعة والاستقلال. يُقدم كورتيس تصورًا للدور المزدوج للتلفظ، حيث يُبين أنه قد يؤدي دورين متباينين؛ يضطلع في أحدهما، بحمل المتلفظ له على مشاركته معتقداته، ويراهن في ثانيهما على تغيير معتقدات المتلفظ له وحفزه على استبدالها بأخرى. وجسّد كورتيس هذين الدورين في الترسيمة الآتية (الداهي، 2011، ص 108):

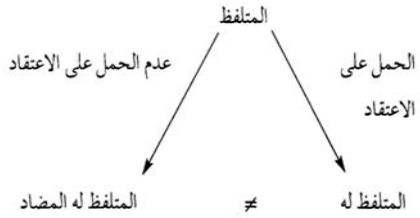

خطاطة المواقع العاملية للمتلفظ له(أ)

وبذلك يتبين أن المتلفظ قد يسعى إلى التأثير على معتقدات المتلفظ له غاية في التواصل فيكون من خلال التأثير على المتلفظ له بمشاركته إياها أو محاولة تغييرها، وقد يكون من خلال الاكتفاء بمشاركته لهذه الأفكار دون السعي إلى إقناعه أو إخضاعه.

في سياق التفاعل التلفظي لا يكون المتلفظ له مُتلقيًا سلبيًا للرسالة فحسب، فقد يشغل مواقع عاملية متباينة تبين مختلف العلائق التي تجمعه بالمتلفظ وتبرز مدى استساغته لمعتقداته أم رفضه لها (الداهي، 2006ب، ص 105):

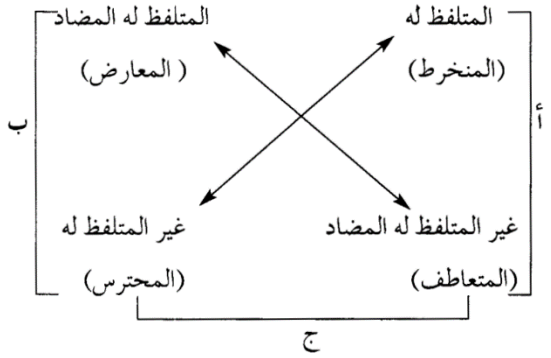

خطاطة المواقع العاملية للمتلفظ له (ب)

ويُمكن القول إن المتلفظ يُمكن أن يُؤثر على معتقدات المتلفظ له إما من خلال المشاركة بهدف التفاهم، أو من خلال التأثير الموجَّه بهدف التغيير أو الإخضاع.

إن العلاقة بين المتلفظ له وغير المتلفظ له المضاد، كما هي العلاقة بين المتلفظ له المضاد وغير المتلفظ له-كما في المؤشر (ب)-، هي علاقة تكاملية، وبهذا فإن الأدوار بين المتلفظ (وهو الطرف المُشارِك أو المُبادِر بالفعل الكلامي) والمتلفظ

له (وهو الطرف المُعارِض أو المُتلقي الذي قد يُبدِي اعتراضًا أو اختلافًا) تتبادل. بمعنى أنه عندما يكون لدينا متلفظ له بالمعنى المتعارف عليه (أي المُتلقي الاعتيادي للكلام)، فإنه في سياق آخر أو في مرحلة لاحقة من الحوار قد يُؤدي دور المتلفظ نفسه، أي يُصبح هو المُبادِر بالكلام. وفي هذه الحالة، ينهض منافسه (الذي كان مُتلفظًا له في البداية) بدور المتلفظ المضاد، أي الطرف الذي يُعارِض أو يُواجِه الكلام الجديد. أما الجمهور (أو المُستمعون المُتعدِّدون)، فيتوزعون بين وظيفتي المتلفظ له والمتلفظ له المضاد، أي أنهم قد يتلقون الكلام ويُؤيّدونه (دور المتلفظ له)، أو قد يُعارِضونه أو يُشكِّكون فيه (دور المتلفظ له المضاد). وهكذا، يظهر في هذه الخُطاطة الموقعُ العاملي للمتلفظ المضاد، الذي يتمثَّل في قدرته على التأثير في المتلفظ له المضاد بطريقتين: التأثير الإيجابي: وذلك من خلال جهة الحمل على الاعتقاد، أي من خلال تقديم حجج أو أدلة تُقنِع المتلفظ له المضاد وتدفعه إلى تبنِّي وجهة نظر المتلفظ المضاد. والتأثير السلبي: من خلال جهة عدم الحمل على الاعتقاد، أي من خلال إثارة الشكوك أو تقديم حجج مضادة تُضعِف من ثقة المتلفظ له في صحة الكلام الأصلي أو في مصداقية المتلفظ الأول (الداهي، 2006ب، 106؛ كريماص ولندوفسكي، 1999، ص 313- 314) وبذلك تتجلى العلاقة التكاملية بين الأدوار المتفاعلة في الحوار، حيث يتبادل المتلفظ والمتلفظ له المواقع بسلاسة:

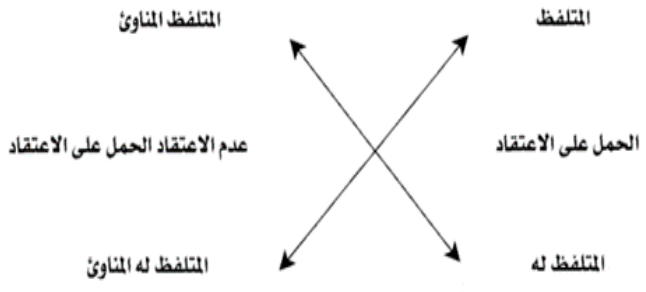

خطاطة تضعيف وظيفة المتلفظ (الداهي، 2006، ص106)

وبعد استعراض المفاهيم السابقة، يتبين بجلاء أن التطويع يكتسب أهمية بالغة في الكلام، حيث تظهر أهمية التطويع في كونه يعمل على "تغيير معتقدات المتلفظ له وحفزه أو حضّه على فعل شيء ما. وهذا لا يعني بأن المتلقي طرف سلبي ومذعان؛ وإنما يتمتع بمؤهلات معرفية وذهنية تجعله يُقَوّم ما يتلقاه؛ ويعاود النظر فيه بإمعان قبل اتخاذ الموقف الملائم. ويجد نفسه أحيانا مجبرا على الامتثال والانصياع للفعل التطويعي بحكم الطاعة أو الواجب لإرضاء المتلفظ والاستجابة لرغباته. وإن التطويع التلفظي يرد مصطلحًا للتطويع الاستهوائي الذي يدعمه بالقوة العاطفية (force motive) ودرجتها (فالتعهد بقول الحقيقة في القسم أقوى منه في التوكيد)؛ ويسعف على إدراك المبتغى بتوظيف الأساليب ذات الشحنات الانفعالية (الإغراء، والتحذير والتخويف؛ والتهديد والإدانة). وفيما سيأتي، ستهتم على الوسائل والتقنيات التي يستعين بها المتلفظ لممارسة التطويع التلفظي. وهذا ما يحتم الانتقال من السيميائية الصارمة إلى السيميائية الملطفة الأكثر انفتاحًا على التأويلات الدلالية الممكنة؛ والأكثر ارتباطًا بالمقاربات الأخرى التي اقترحتها المجالات القريبة والتكملية(الداهي، 2006ب، 106). وبهذا يتبين أهمية سيميائية التطويع في بناء سيميائية الكلام الروائي، ودراسة آثاره المُحتملة على المُتلفظ له في مختلف السياقات التواصلية والروائية.

مقومات التطويع:

تُعدُّ مقومات التطويع (الداهي، 2011، ص 110) أحد المواضيع المهمة في سيميائية الكلام الروائي، وتتنوع أصناف التطويع التلفظي، وتستند دعائمه، في الأساس، على الأفعال اللغوية التي تهتم التداولية بدراسة علاقتها بمستعملي العلامات(الداهي، 2011، 105). حيث صنف كل من جون أوستين (John Langshaw Austin) وجون سيرل (John Rogers Searle) الأفعال اللغوية في خمس مقولات مختلفة. وتلخص جويل بروست هذه المقولات العامة التي تستوعب الأفعال التحدثية على النحو الآتي: "نُخبر الغير عن حالة الأشياء (فعل إخباري/توكيدي)، ونسعى لدفعهم إلى فعلها (فعل توجيهي/إلزامي)، ونتعهد بفعلها (فعل إلزامي/وعدي)، ونُعبر عن مشاعرنا ومواقفنا (فعل تعبيري)، ونُحدث تغييرات في العالم بواسطة تلفظاتنا (فعل إعلاني)"(هدسون، 1987، ص 189).

يرى الداهي (2006، ص 107) ضرورة دمج أفعال الكلام في سيميائية الكلام، انطلاقًا من عدة اعتبارات منهجية. أول هذه الاعتبارات أن مدرسة باريس قد أدمجت فعل الكلام في نظريتها السيميائية، ومنحته مكانة متميزة بوصفه مكونًا جوهريًا في تحليل الخطاب. وثانيها أن فعل الكلام يُعد فعلًا حركيًا ونشاطًا جسديًا يندرج ضمن البعد التداولي للخطاب، ويُعالج في إطار ما يُعرف بالنحو التداولي. ويظهر فعل الكلام، بوصفه فعلًا خاصًا، في بعدين رئيسين: أولهما كونه فعل معرفة، أي أداة تساعد المتلفظ على الاتصال بموضوع المعرفة؛ وثانيهما بوصفه فعل الفعل، أي تمثيلًا لاضطلاع ذاتٍ بتطويع ذاتٍ أخرى بواسطة اللغة. ومن هنا، تتبين أهمية الكفاية الجهية في سياقات التواصل، خاصة التواصل التعاقدي والجدالي، حيث يمكن تفسير الأفعال الكلامية بوصفها إنجازات جهية ذات طبيعة معرفية، قابلة لأن تُشكل موضوعًا لدراسة سيميائية التطويع. بهذا ينظر الداهي إلى فعل الكلام، بوصفه نشاطًا معرفيًا وحركيًا، يتجاوز اللغة ليصبح أداة تطويع وتواصل في سيميائية التلفظ. أما برتون (2022) فينظر إلى التطويع فعلًا يجمع بين العنف والإكراه والخداع: فيعرفه بكونه "فعلا عنيفًا وصارمًا ومشينًا يسلب الحرية من الذين يتعرضون له ويهدر كرامتهم... وهو بمثابة كذبة مُنظّمة يهدف إلى إيقاع الآخر في الخطأ"(30–31). لذلك يقدّم الداهي التطويع بوصفه فعلًا معرفيًا تطويعيًا، وهو هنا يوافق رأي قريماس وكورتس، بينما يراه برتون أنه فعل قهري يقوم على العنف والخداع.

وحدد الداهي (2011) مقومات التطويع الأساسية في عدة عناصر:

1- تمويه الخبر، حيث يُستخدم التضليل بنشر معلومات مُضللة أو مُجتزأة لتوجيه معتقدات وسلوك الجمهور، مع تشويه دلالات العلامات.
2- الدعاية، التي تعمل على ترسيخ أفكار معينة في أذهان الجمهور عبر التكرار والنشر الواسع لتوجيه سلوكهم ودحض خصومهم.
3- الضرب على الوتر الحساس، ويستغل ضعف المتلقي أو سذاجته للتأثير عليه باستخدام الرموز والدلالات العاطفية.
4- الشعور بالذنب، الذي يُزرع في الفرد لتحميله مسؤولية إخفاقاته، مما يُسهل السيطرة عليه.
5- الألاعيب، التي تعتمد على الخداع لكسب ثقة الآخر، مثل التظاهر بالعاطفة أو الضعف.
6- إطار الافتراء، الذي يعتمد على الكذب لتغيير الوقائع لصالح هدف المطوّع. إطار المغالاة، الذي يُبالغ في وصف الأحداث لتضليل المتلقي،
7- وأخيرًا الإطار المُكره، الذي يُجبر المتلقي على اتخاذ موقف معين لتحقيق هدف مُحدد (ص 110–111). وهذه المقومات تتوافق مع ما أورده بروتون (2022)، حيث يتفق مع الداهي في أن التضليل العاطفي يستغل المشاعر بدلًا

من العقلانية لإقناع الجمهور، ويعتمد على أساليب مثل التكرار، تشويه الحقائق، واستخدام الرموز العاطفية التي تؤثر في سلوك الأفراد وتوجيههم (برتون، 2022، 95، 96)، وبذلك، يتقاطع كل من بروتون والداهي في فهم آليات التطويع وأثرها في توجيه سلوك الأفراد.

أنواع التطويع:

صنّف الداهي (2011، 111–112) التطويع إلى أنواع مُختلفة بناءً على طبيعة التأثير المُمارس، وهي على النحو الآتي:

التطويع الانفعالي: بالتأثير على عواطف المتلقي من خلال المناورات العاطفية لاستمالته وتوجيه سلوكه. مثل: استخدام الخطابات الحماسية أو المُبكية في التجمعات السياسية.

التطويع المعرفي: التأثير على معارف المتلقي من خلال تقنية التأطير، أو استغلال الردود اللاإرادية والتكرار.

التطويع الذهني: التأثير العميق على ذهن المتلقي لجعله يتقبل أفكارًا أو سلوكيات مُعينة دون نقد.

التطويع المهني: استخدام مهارات شخصية ومهنية للتأثير على الآخرين وتحقيق أهداف شخصية، مثل التظاهر باللطف والذكاء والتلاعب بالحقائق.

التطويع العلائقي: ويكون عبر التلاعب بالعلاقات الشخصية من خلال إظهار اللطف واللباقة لتحقيق مصلحة خاصة باستخدام أساليب مثل التظاهر بالضعف وإخفاء النوايا الحقيقية، مما يؤدي إلى تأثيرات نفسية سلبية على المتعاملين مثل التوتر والارتباك. وعليه، فالتطويع ليس فعلًا عابرًا بل سلطة ناعمة تُمارَس بخفاء، تندسّ في اللغة والعلاقات والتصوّرات، لتعيد تشكيل الوعي وتوجيه السلوك بصمتٍ مُقنِع.

التطويع وجِهة الحمل على الاعتقاد: صنّف قريماس جهة الحمل على الاعتقاد ضمن الجهات الفعلية في العلاقة بين الذاتين؛ المتلفظ والمتلفظ له (الداهي، 2011، ص 112–113)، إذ يَعِدُّ الإقناع والتأويل إجراءات معرفية، تنتهي الأولى إلى دفع الآخر إلى لاعتقاد والثانية إلى الوصول إلى هذا الاعتقاد. وفي هذا السياق، يُستخدم المتلفظ جهة الحمل على الاعتقاد ليقنع المتلفظ له، الذي يستخدم بدوره جهة الاعتقاد لتصديق المتلفظ أو تكذيبه. فالتطويع هنا يعتمد على عدة عوامل مثل الرغبة (التحفيز والتأثير العاطفي)، القدرة (الإثارة أو التهديد)، والمعرفة (الحجاج المنطقي والبرهنة). لذلك، تضع سيميائية باريس أهمية كبيرة على جهتي الحمل على الاعتقاد والاعتقاد في عمليات التطويع والمجازاة، موضحة ارتباطهما بالجهات الفعلية، بما فيها جهة المعرفة المرتبطة بالبرهنة والإقناع (قريماس وكورتيس، 2020، ص 296–298).

التمييز بين أفعال الكلام والأفعال غير اللغوية (الإنجاز):

فرّق الداهي (2006، ص 108) وقريماس وكورتيس (2020، ص 367) بين أفعال الكلام (الأفعال اللغوية) والأفعال غير اللغوية (الإنجاز)؛ إذ أكّدوا على أن أفعال الكلام لا تقتصر على النطق باللفظ، وإنما هي أفعال كلامية كاملة تُؤثر على الواقع، وتحمل إرادة المتكلم وقدرته على إحداث تغيير ما، مع أهمية السياق والسلطة في تحقيق أثرها، حيث تكمن وظيفة التلفظ في تحقيق الفعل الناتج عن القول، مما يستدعي التمييز بين الفعل اللغوي (أفعال الكلام) والفعل غير اللغوي (الإنجاز بالمعنى السيميائي. ويرى إميل بنفنست (1994، ص 549–559) أن الفعل التحدثي لا يتطلب بالضرورة إنجازًا ماديًا أو فعليًا خارجيًا، إنما يكفي أن يعبر المتكلم عن معنى من خلال الخطاب ليُشخص بوصفه منجزًا لهذا الفعل. ويتحقق هذا التعبير عبر تملك اللغة، استخدام الأشكال اللغوية التي تحيل إلى المتكلم، وافتراض وجود مخاطب، سواء كان فعليًا أو ضمنيًا، مما يجعل القول بحد ذاته كافيًا لتحقيق الفعل التحدثي. وبهذا فقد ميّز الداهي بين أفعال الكلام المؤثرة والسياق عن

الإنجاز غير اللغوي، بينما حدد بنفنست الفعل التحدثي بالكمال اللغوي، واتفقوا على أن الأفعال الإنجازية تتحقق عبر القول والسياق لإحداث الأثر، بينما تقتصر غير الإنجازية على الوصف دون إحداث تغيير فعلي.

يتبين أن الفرق بين الأفعال الإنجازية وغير الإنجازية ينحصر في العلاقة بين القول والفعل؛ إذ ميز الداهي بين الأفعال اللغوية التي تؤثر في الواقع وتتطلب سياقًا لتحقيق أثرها، والأفعال غير اللغوية التي لا تُحدث تغييرًا. ورأى بنفنست أن الفعل التحدثي لا يتطلب إنجازًا ماديًا، بل يكفي أن يتم التعبير عنه لفظيًا ليحدث الفعل.

منزلة أفعال الكلام في الرواية:

تعدُّ الأفعال الكلامية أحد المفاهيم الجوهرية في الدراسات التداولية والسيميائية الحديثة، إذ كان الفهم التقليدي لها يقتصر على ارتباطها بالتواصل اليومي بين الأفراد، بوصفها تهدف إلى إتمام وظائف لغوية محددة في سياق الخطاب الواقعي. ولكن مع تطور تلك الدراسات، بدأت النظريات الحديثة ترى أن الأفعال الكلامية تتجاوز هذا الفهم التقليدي لتدخل في مجالات أوسع، خاصة في الأدب والفن. ففي الأدب، أصبحت الأفعال الكلامية أكثر تعقيدًا وثراءً، حيث تستخدم ليس لأداء وظائف لغوية معينة فحسب، بل أيضًا لتشكيل معانٍ جديدة وتجسيد تفاعلات تخييلية بين الشخصيات. وهذا يفتح المجال أمامنا لفهم العلاقة بين اللغة والواقع في السياقات الأدبية.

وقد تضاربت الآراء حول تموضع الأفعال الكلامية في الأدب، فبينما يرى بعض النقاد أنها أفعال مصطنعة لا تحقق فعلًا حقيقيًا، يقر آخرون بأنها تتجاوز حدود التواصل اليومي، وتُؤدي أدوارًا إنجازية داخل التخييل. وفي هذا السياق، يرى الداهي (2006، ص 108) أن جيرار جنيت يشكك في الأفعال الكلامية الأدبية، وحجته أن المتلفظ في الأدب يتظاهر بفعل شيء ما دون أن يكون ذلك فعلًا حقيقيًا. إلا أن الداهي يرد على هذا الرأي مستندًا إلى رفض آن أوبرسفيلد لمقولة جينيت التي تقلل من أهمية الأفعال الكلامية، مُصنِّفًا إياها تعبيرًا لفظيًا. حيث ترى أوبرسفيلد (1996، ص 135–137) أن الأفعال الكلامية في المسرح تتجاوز التعبير اللفظي، لتؤثر في تطور الأحداث والعلاقات بين الشخصيات والجمهور. ورغم كونها خيالية، فإن لها قدرة على تغيير المشاعر والسلوكيات، مما يجعلها محركًا فعّالًا ضمن إطار التخييل أفعالًا إنجازية فاعلة تُمارس فعلها الخاص في الوجود. وهنا يظهر الخلاف حول الأفعال الكلامية الأدبية بين تشكيك جنيت في واقعيتها وتأكيد أوبرسفيلد على دورها الإنجازي في التخييل، مما يبين تعقيد تأثير الأدب بين المحاكاة والتأثير الفعلي.

ووفقًا لقريماس وكورتيس (2020، ص 22) تُعد الأفعال الكلامية إنجازات جهية ذات طبيعة معرفية تُنتجها الذوات المشاركة في التواصل، سواء كانت ورقية أو حقيقية أو صورية، وهي تشكل خطابات تُؤسس على كفاية تواصلية تجعلها قابلة لأن تكون موضوعًا لسيميائية الاستعمال (أي التطويع التلفظي)، تسهم في تشخيص الواقع بطريقة مضادة، وتحافظ في الوقت ذاته على كثير من مواضعاته، وذلك بناءً على الميثاق التحققي الذي يفرض ضرورة وجود العناصر اللازمة لأداء عمل الكلام وظيفته، حتى في السياقات التخييلية مثل السينما، حيث يُعامل القول المصطنع كما لو كان حقيقيًا. مما يثبت قدرة الأفعال الكلامية على التأثير في المتلفظ له وتوجيه فهمه للعالم ضمن التخييل. ويرى آدمز (1986) أن أفعال الكلام تعد عنصرًا أساسيًا في بناء القصة وتأويلها، حيث تدمج اللغة والسياق التداولي لتوجيه الشخصيات والأحداث، وتعزز التفاعل بين النص والقارئ ويضفي عمقًا دلاليًا. كما أن السياق يؤثر في المعنى، كما في جملة "أكانت تستحق ذلك؟" التي تعني التوبيخ لا السؤال، وتتداخل الأفعال الكلامية لتخدم أهداف المتلفظ وتسهم في تحقيق برنامجه الحكائي (ص75–78). وتتداخل الأفعال الكلامية لتحقيق أهداف المتلفظ وتفعيل برنامجه الحكائي. وفي هذا الإطار، تمكّن نظرية المناسبة من تخطي الحدود الضيقة للتداولية، وتفتح آفاقًا جديدة لاستكشاف ظواهر مثل التخييل، والاستعارة، والاستخدام غير الحرفي للجمل،

خصوصًا في المجال الأدبي (روبول وموشلار، 2003، ص 202). وهذا يعزز العلاقة بين الأدب وأفعال الكلام وتأثيرها على بناء النصوص. فالأفعال الكلامية تخضع لتوجهات المتلفظ وسياقات التلفظ.

وبذلك، يمثل الكلام، بوصفه فعلًا، منظورًا جديدًا لتحليل النصوص الروائية، إذ حوّل التركيز من محتوى القول إلى تأثيره في السياق السردي. حيث يمكننا من خلال تحليل الأفعال التي تنجزها الذوات، أن نفهم العلاقات بينها والتحولات والحالات، إذ يسعى المتلفظ إلى توجيه الآخر نحو تنفيذ خطة معينة، مما يبين التفاعل الأدبي. ويتبيّن أن الأفعال الكلامية، وإن نشأت في حضن التداولية واللسانيات، فإنها وجدت في الخطاب الأدبي مجالًا خصبًا لتوسيع آفاقها وتطوير مفاهيمها. فهي لا تقتصر على الأداء اللغوي في الحياة اليومية، بل تتجسد في الخطابات التخييلية بوصفها أدوات فاعلة في بناء العوالم السردية وتشكيل المعاني وتوجيه التلقي. كما أن التوتر القائم بين الجدية والتخييل، أو بين الصدق والكذب، لا ينتقص من أثرها أو مشروعيتها في الفضاء الأدبي، وإنما يعزز فكرة أن الأدب يُعيد توزيع السلطة التلفظية ويخلق تفاعلات جديدة بين المتلفظ والمتلفظ له والعالم الممكن. ومن ثم، فإن استحضار الأفعال الكلامية في تحليل النصوص الأدبية ليس ترفًا نظريًا، بل ضرورة تأويلية لفهم ما يقوله الأدب وما يفعله في آنٍ واحد.

المبحث الأول: التطويع الإيديولوجي والاستهوائي في رواية فاكهة للغربان:

تدور رواية فاكهة للغربان حول تداعيات الانهيار الأيديولوجي في اليمن الجنوبي، وتعد نورا، وهي الفاعل الرئيس، شاهدًا حيًّا على هذا الماضي. ويتمثّل المرسل في الرواية كيانًا مرسلًا مركبًا يتمظهر في: الحزب الاشتراكي، الثورة، والماضي الاستعماري. ويحيل هذا الكيان إلى ضغط إيديولوجي وتاريخي كثيف على الذوات؛ حيث يتمثل هذا الضغط في ثقل المشروع الاشتراكي المنهار، بخطاباته وقيمه المعطوبة، والماضي الاستعماري الذي لم تُفصل عنه الهوية بعد، بينما يتمثل الضغط التاريخي في الصدمة المستدامة للثورة الخائبة مثل أحداث يناير وما خلفته من خيبة أمل.

ويُمارس هذا المرسل تطويعًا أيديولوجيًا على هذه الذوات (نورا وصلاح) يوجههما باتجاه برنامج حكائي يتمثل في تدوين المذكرات والمواجهة مع ماضي الثورة المنهارة، بهدف إظهار خيبة الأمل في المشروع الثوري الاشتراكي وتعرية فشل التطبيق العملي للتحولات الأيديولوجية والسياسية في عدن.

تبدأ الرواية بلقاء نورا وهي المتلفظ المُطوّع وصلاح وهو الكاتب الحزبي السابق/المتلفظ له المُطوَّع. وتمارس نورا سلطة تلفظية استهوائية على صلاح لإقناعه بكتابة مذكراتها، التي تمثل توثيقًا لذاكرة الثورة الخائبة. وتتعدد الذوات المتلقية للتطويع (نورا، صلاح، سناء، عباس، وبقطاش)، حيث يعيش كل طرف حالة من الوعي الزائف، ويسعى لممارسة المناورة على الآخر، مما يجعل هذا التطويع أداة فاعلة في التأثير النفسي لتوجيه سلوك الذوات المنخرطة في البرنامج الحكائي.

التطويع الإيديولوجي:

يتجلى هذا التطويع من خلال مطالبة الحزب والثورة -بوصفهما مُرسِلَيْنِ مُطوِّعَيْنِ- للشخصيات التي تحتل موقع المُرسَل إليه المُطوَّع بتنفيذ أهداف محددة، مثل الحفاظ على الثورة أو تحقيق العدالة الاجتماعية. إذ تخضع نورا، بوصفها شاهدة على الزمن الثوري، للتطويع عبر استحضار ذكريات جياب لحملها على كتابة مذكراتها؛ وهو ما يولد ضغطًا تاريخيًا يفرض عليها مواجهة ماضيها، لتغدو إعاقتها الجسدية ورائحة قدميها المتعفنة علامةً سيميائية دالة على الانهيار.

وبحضر العقد التلفظي بين طرفي التلفظ في طلب نورا من صلاح تدوين مذكراتها، في ملفوظها: " مذكرات، أريدك أن تكتب لي"(زين، 2020، ص 21). حيث يمثل هذا الملفوظ عقدًا تلفظيًا باستخدام صيغة الطلب/الأمر بوصفه فعلًا كلاميًا إنجازيًا (فعل الإلزام). حيث يحدث تحويل صلاح (الكفاية الأولية: العجز عن الفهم/ضعف القدرة على المضي قدمًا) إلى وضع

الإقرار بالقدرة والإنجاز (تحيين في للكفاية الجهية للقدرة). وبذلك، ينجح التطويع الاستهوائي في دفع صلاح نحو إنجاز فعل الكتابة، ممثلًا نقطة انطلاق البرنامج السردي وتوثيق انهيار المشروع الإيديولوجي.

فالكفاية تمثل المؤهلات التي تمكن الذات من الفعل، وتعتمد في هذا الرواية على الكفاية اللغوية بشكل رئيسي، حيث تمتلك نورا كفاية لغوية وحكائية أثرت بها في صلاح بسرد ماضيها، لكن إعاقتها الجسدية ورائحة قدميها، بصفتها علامة على فقدان كفاية الكينونة، حدّت من فعلها، وهذا يدل على اعتمادها على الكلام لاستعادة السيطرة. بينما يمتلك صلاح كفاية معرفية تتمثل في خبرته الحزبية، ولغوية تتجلى في كتابة المذكرات، لكنه يفتقر إلى الكفاية العاطفية بسبب تردده وشعوره بالعجز، فتكشف عن صراعه الداخلي. كما تُظهر سناء كفاية لغوية وعملية تحضر في توفيرها جواز السفر لعباس، مما يشير إلى تلاعبها بالواقع. أما عباس، فبصفته ذاتًا تسعى إلى الهروب من بلاده، فهو يمتلك أيضًا كفاية وجودية تتمثل في رغبته في الرحيل، لكنه اعتمد على سناء في التنفيذ وبذلك يتبين أن الكفاية اللغوية تجاوزت الفعل المادي إلى الإقناع، حيث استخدمت الشخصيات الكلام لإثبات وجودها، بمناقشاتهم عن الثورة، فيحيل ذلك إلى سيميائية الكلام بصفتها فعلًا وليس بكونها مجرد وجود.

يلي ذلك طور الإنجاز، الذي يتجسد في تحيين البرنامج الحكائي، غير أنه يظل في الرواية متأرجحًا بين النجاح التداولي والفشل المادي نتيجة تصارع القوى الفاعلة. فإذا كانت نورا قد نجحت -عبر استراتيجية التطويع - في إقناع صلاح بكتابة المذكرات، فإن إنجازها المادي المتمثل في استعادة الحياة يظل مبتورًا؛ إذ تقف إعاقتها الجسدية ورائحة قدميها عاملًا معيقًا يعطل الفعل، في حين ينهض صلاح بدور العامل المساعد الذي يحاول ترميم الذاكرة بالكتابة. حيث يمثل إنجازه الكلامي في كتابة المذكرات، لكنه واجه معيقات مثل خوفه من المذكرات والانهيار السياسي، بينما نورا هي العامل المساعد له. وتنجح سناء في الإنجاز المادي والتداولي بتوفير جواز السفر لعباس، بينما حقق عباس إنجازًا جزئيًا بالتخطيط للهروب، لكنه واجه معيقات نفسية وسياسية في عدن. وبذلك فقد سبق الإنجاز التداولي (القرار/القول) التنفيذَ المادي، بقرار صلاح بكتابة المذكرات الذي اعتمد على إقناع نورا أولًا. ثم بخطابات جياب ثانيًا، بصفتها إنجازًا تداوليًا، أثرت في الجماهير، لكن مقتله أنهى تنفيذها، وهذا يبين وجود فجوة بين القول والفعل. وهذه الفجوة تتجسد في رمز العنوان فاكهة للغربان الذي يحيل إلى إنجاز سلبي، حيث أصبحت الشخصيات طعامًا للغربان (الدمار) بدلًا من تحقيق أهدافها، مما يبين فشل البرنامج الثوري.

وعقب فشل هذا البرنامج، حلّ الجزاء الذي تجاوز تقويم الفعل المنجز ليشمل تقويم المشروع الكلامي برمته، أي استراتيجية التوجيه التي اعتمدتها نورا وصلاح لترميم الذاكرة الثورية؛ وتجلى هذا الجزاء في شقين متلازمين: الأول فعل التعرُّف أو الجزاء المعرفي، وفيه أصدر المُرسِل، أي التاريخ والقيم الثورية، حكمًا قاطعًا بعدم المطابقة؛ أي التعرّف على حقيقة الذوات بوصفها ذواتًا خائنة أو عاجزة لم تلتزم بالميثاق القيمي للثورة، فاكتشف صلاح زيف الأيديولوجيا، وأدركت نورا خيانة الرفاق. الثاني فعل المجازاة أو الجزاء التداولي، وهو النتيجة العملية لذلك الحكم، حيث قضى المُرسِل بإنزال العقاب بدلًا من الثواب؛ فتجلى عقاب نورا في تعفن الجسد بوصفه علامة على فساد المرحلة، وتجلى عقاب صلاح في الإقصاء الحزبي؛ ليكون المآل النهائي هو انهيار المشروع الكلامي والوجودي معًا.

أما جزاء سناء وعباس فقد نالت سناء مجازاة تداولية بمساعدة عباس، لكنها كانت مجازاة ملتبسة، إذ كان الرحيل على سفينة روسية إحالة إلى الهروب من الواقع لا تغييره. بينما حصل عباس على جواز السفر بصفته مجازاة إيجابية، لكنه تلقى عقابًا نفسيًا بشعوره بالضيق في عدن. وبهذا فقد حلّ الجزاء الجماعي عبر إصدار المرسل، أي الثورة، حكمًا نهائيًا سلبيًا، حيث أصبح الرفاق قرابين لشهر يناير، والغربان تأكل جثثهم، وهذا يبين تحول الثورة إلى مادة للدمار. ويُعد هذا جزاءً تلفظيًا

بامتياز؛ لذلك تمثل دور الكلام في الجزاء بوصفه أداة لإصدار حكم التعرُّف، وذلك في قول نورا: "دمه يلطخكم جميعًا"(زين، 2020، ص 236) الذي مثّل حكمًا معرفيًا قاطعًا بالخيانة، وبالمناقشات التي أصدرت حكمًا نهائيًا بفشل البرنامج الحكائي.

التطويع الاستهوائي:

يظهر التطويع الاستهوائي في عدة مقاطع تلفظية محورية من خلال أفعال الكلام والحجاج. ففي المقطع الذي يتضمن تساؤل نورا: "كيف لم يحدث أنني لم ألعب ذلك الدور، الذي يظنون أنني قمت به؟" (زين، 2020، ص 32).

يندرج هذا الملفوظ ضمن الأفعال الإنجازية غير المباشرة، إذ ينزاح عن الوظيفة الاستفهامية الحرفية المتمثل في طلب المعرفة، ليحقق قوة إنجازية استنكارية، فالمتلفظ لا يطلب جوابًا، لكنه هنا يمارس فعل النفي لما نُسب إليه من أفعال لم يرتكبها، فعبر عن استيائه من اتهام الآخرين له، وحاول نفيه وترميم صورة الذات لدى المتلفظ له، ودحض التصور الخاطئ عنه.

حيث تبدأ نورا، وهي المتلفظ الرئيس والفاعل الذات في الرواية، بتساؤل ذاتي يكشف عن حيرتها واضطرابها، فتُشكِّك في صدق دورها في الأحداث، وتشعر بالضياع وفقدان اليقين، فحاولت فهم مكانها وسط هذه الأحداث، وقد برّرت انخراطها بحضورها اللقاء السري، وهو تبرير سطحي يخفي رغبتها في الانخراط والتغيير، لتبحث عن معنى جديد لذاتها في هذا العالم المتغير، فأعجبت بفكرة التورط، لكن إعجابها تحول إلى خوف من تبعاته، فتساءلت عن سبب اضطرابها وعجزها عن التصرف بطريقة طبيعية، فظلت في صراع بين جاذبية المغامرة في التجديد والخوف من العواقب، فباحت لصلاح بعلاقتها بجياب، التي لم تتوقع أن تتجاوز حدود المجاملة، فاستعادت ذكرياتها معه بالتفاصيل، محاولة تعويض خسارتها له وإضفاء شرعية على وضعها الحالي عبر ربطها بشخصية مرموقة، ثم قارنت بين صورتها الحالية والماضية معه، مدركة التغيير الذي طرأ لها، ومُحاولة فهم كيف وصلت إلى ما هي عليه الآن، وهي بهذا تحاول إقناع نفسها لتنتقل إلى تحقيق برنامجها الحكائي في إقناع صلاح بكتابة مذكراتها، فأجرت حوارًا مع نفسها لتبرر رغبتها في كتابة المذكرات وإقناع نفسها بأن قصتها تستحق أن تُكتب.

ينزاح التطويع من الاستهواء، بمعناه الإغرائي، إلى التطويع الانفعالي القائم على استراتيجية الاستعطاف؛ حيث توجه نورا سؤالها لصلاح: "كيف آل الأمر إلى أن أكون وحيدة؟" (زين، 2020، ص 41). يمثل هذا الملفوظ فعلًا إنجازيًا يعتمد على المناورات العاطفية لاستمالة المتلفظ له؛ إذ تجاوزت نورا الوظيفة الاستفهامية الظاهرية للسؤال، لتُحقق لازم فعل الكلام المتمثل في اللوم الخفي لصلاح، واستثارة الشفقة، وتحميله مسؤولية ضمنية عن عزلتها وغياب جياب. وقد أفضت هذه الاستراتيجية إلى توليد الشعور بالالتزام لديه، فأنصت إليها رغم توتره الذي دفعه لإشاحة وجهه، مما ضاعف من سطوة السؤال وحوّله إلى طرف مُستجيب. وبذلك، تعززت سلطة نورا في ضبط العلاقة التلفظية، مستثمرةً رصيد العلاقة السابقة مع صلاح لدفعه نحو الحمل على الاعتقاد والتأثر لحالها، ومستغلةً ضعف إدراكه لمناورتها وتظاهرها بالضعف. وهنا تجلى نجاح التطويع في تحقيق أثر المعنى المرجو؛ إذ تحولت الكفاية الجهية لصلاح من حالة اللارغبة في الانخراط والمقاومة، إلى حالة الالتزام والتأثر العاطفي، حيث أنتج السؤال لازمه المتمثل في التوتر والإصغاء الإلزامي، وحقق بذلك الغاية التداولية للمتلفظ، وهي توريط صلاح أخلاقيًا في عقد الكتابة، وإجباره على تبني سردية الضحية التي تملها نورا، بدلًا من السردية الحزبية الرسمية.

بناء الثقة والتحقق وممارسة الحجاج:

يعد بناء الثقة أساس التواصل والإقناع والعلاقات المتينة، ويعتمد على الصدق، الكفاءة اللغوية والاجتماعية، والوفاء بالوعود وإظهار التعاطف والتفاعل (سعيد، 2008، ص 118–120). وهنا يتدخل التطويع في بناء هذه الثقة؛ إذ يُظهر المتلفظ وعيه بالمقام والمتلفظ له، فيكيف أسلوبه، ونبرته، وانتقاءه للألفاظ بما يتناسب مع السياق، ويظهر الاحترام والتقدير للطرف الآخر، وهو ما يجعله أكثر قبولًا وتأثيرًا.

يمثل هذا التطويع في رواية فاكهة للغربان حضورًا مُهيمنًا وسلطة تُحرك التفاعلات بين الذوات، وخاصة في علاقة صلاح ونورا، إذ تُحاول نورا سلب قدرة صلاح على المقاومة بالتأثير على مشاعره بدلًا من مخاطبة عقله، فخلقت حالة من الغموض والإيحاء والترقب دفعته إلى محاولة تحليل موقفها ومقصديتها، مستخدمة التناقضات العاطفية لإرباكه ومنعه من تكوين صورة واضحة عنها وعن دوافعها، معتمدة على جذب انتباهه وإثارة فضوله بالتظاهر باستكمال حكاياتها (زين، 2020، ص 13) وتشويقه إليها بدلًا من محاولة كسب ثقته مباشرة؛ لكتابة مذكراتها ثم لأخذ العظة والعبرة من هذه الدروس وتجنب التورط في الحلم بتحقيق الثورة وإثبات فشلها، فمارس كل واحد منهما ألاعيب التحقق (الداهي، 2021، ص 25) المباشرة عبر الكذب والصدق، والملتوية بإفشاء السر والوشاية والتمويه والمغالطة، وظفها كل واحد لفهم دوافع الآخر وكشف غموضه، فنورا تملك سلطة سرد القصة، بينما صلاح يملك سلطة تدوينها وتفسيرها، وهذا التوزيع للسلطة نتج عنه تطويع أحد الطرفين للآخر والتأثير فيه بالتحكم في السرد أو التدوين، فحدث نوع من الإقناع والتأثير المتبادل بينهما، إذ حاولت نوار إقناع صلاح بوجهة نظرها عن الأحداث، بينما حاول صلاح التأثير على سردها بتكرار أسئلته أو تعليقاته، وفي سياق الرواية، مثلت المذكرات نوعًا من الدعاية للأيديولوجيا الاشتراكية وفشلها، وترسيخ الوعي بأسباب هذا الفشل.

الحجاج العاطفي:

قسّم عبد الرحمن (1998، ص 274، 275) المراتب الحجاجية، بناءً على ما طرحه بعض الفلاسفة والمتخصصين في الحجاج إلى ثلاثة مستويات؛ الأول: المراتب المتضادة: تُركّز على التضاد بين الأقوال. والثاني: المراتب الموجهة توجهًا كمّيًا. وكذلك الثالث: المراتب الموجهة توجهًا قصديًا. وبناءً على ذلك يمكن ترتيب الحجج في الرواية في سلم تصاعدي أو تنازلي حسب قوتها الإقناعية، وذلك على النحو الآتي:

يُركّز الحجاج العاطفي في الرواية على شعور صلاح بالخوف: "يوقظ هذا البيت في صلاح كل أنواع الحذر، ويجعله ينظر حوله متعجبًا من وجوده فيه. كيف يضمن أن لا أحد سيشبهه لأي سبب؟ هل لن يعرف أحد أنه يزورها؟ دومًا الوشاية هي ما يتفاداه، واشيًا أو موضوعًا للوشاية"(زين، 2020، ص 54).

يُركّز هذا الملفوظ على شعور صلاح بالحذر والخوف من الوشاية في بيت نورا، ويظهر تأثير التطويع في توتره؛ بدأ بحذره تجاه البيت، ثم التوجس والريبة، إذ شعر بالخوف والتهديد الدائم الذي يُحيط به في هذا المكان بسبب الوشاية، وتوهم أنه مُعرّض للكشف أو الاتهام. ويمكن ترتيب الحجج المستخدمة لوصف هذا الشعور حسب قوتها: أقوى حجة هي: (يوقظ هذا البيت في صلاح كل أنواع الحذر... دومًا الوشاية هي ما يتفاداه). حيث تُظهر هذه الحجة خوف صلاح وحذره من الوشاية وتبرز تأثره الانفعالي ليظل دائم اليقظة، وتعد هذه الحجة الأقوى لارتباطها المباشر بالخوف من الوشاية. وهناك حجة أقل قوة وهي: (يجعله ينظر حوله متعجبًا من وجوده فيه)، التي بينت شعور صلاح بالغرابة وعدم الارتياح، مما عزز توتّره المستمر عند وجوده في البيت. لكن هذه الحجة ليست قوية مثل الأولى، بل أظهرت نوعًا من الانزعاج الذي يستند إلى التأثير العاطفي، فعبّرت هذه الحجة عن نتيجة ثانوية لهذا التأثير، وليست عن العاطفة ذاتها بطريقة مُباشرة، إذ إن تعجّب

صلاح من وجوده في البيت هو نتيجة لخوفه وقلقه، وليس الخوف نفسه. ويُمكن افتراض حجة أضعف وهي: (شعر صلاح بالراحة والأمان في بيت نورا)؛ إذ تُناقض هذه الحجة تمامًا التأثير الذي ظهر في المقطع، مما جعلها غير فعّالة في دعم الشعور الأصلي، حيث قدمت هذه الحجة شعورًا مُغايرًا لشعور الخوف والحذر، مما أضعفها وجعلها غير مُقنعة، فهذه الحجة قدّمت خلاف ما أظهره المقطع تمامًا، لذلك فهي ضعيفة. وهناك أيضًا حجة أضعف يُمكن افتراضها وهي: (لم يُعر صلاح أي اهتمام لوجوده في بيت نورا)، إذ ذهبت هذه الحجة إلى أبعد من ذلك، حيث أظهرت تجاهلًا تامًا لعاطفته في هذا الموقف. وتُعدُّ هذه الحجة غير مُقنعة؛ لأنها لم توضح أي أثر نفسي على صلاح، إذ نفت وجود أي شعور لديه تجاه الموقف، فهذه الحجة نفت وجود أي رد فعل نفسي لصلاح تجاه الموقف، وهو ما يتنافى مع ما ورد في المقطع. وبذلك، فالتطويع الذي عانى منه صلاح تحكم بدرجة كبيرة في تدرج المراتب الحجاجية في المقطع. حيث بنيت الحجة الأولى بقوة على الشعور بالخوف والحرص الناتج عن ذلك، بينما أظهرت الحجة الأقل قوة نوعًا من التوجس، ثم تأتي الحجة الأضعف لتُناقض المشاعر، وأخيرًا الحجة الأضعف التي تنفي أي تأثير للعاطفة. وبذلك، فهذه المراتب الحجاجية بينت تفاعل التطويع العاطفي مع الموقف الذي عاشه صلاح في بيت نورا. وقد تجلت براعة نورا في توظيف وسائل الحجاج عبر تطويع العاطفة، حيث وظفت الحجة تلو الأخرى لتحقيق التلاعب النفسي، فأتقنت استغلاله، وتبين كيف تتفاوت الوسائل الحجاجية من القوة إلى الضعف، بدءًا بالحجة التي أكدت شعوره بالخوف، مرورًا بالحجة التي أظهرت الغربة لديه وعدم الارتياح، وانتهاءً بالحجج التي أضعفت الموقف عبر تقويض شعوره، مما عمّق من براعة الحجاج العاطفي. وبذلك أظهر المقطع بوضوح كيف أن نورا سيطرت على الموقف من خلال تطويع العاطفة وتأويل مشاعر صلاح، وبيّن التوظيف الحجاجي في التحكم بالمشاعر والأفكار من خلال الأدوات الحجاجية المختلفة.

الحجاج المضاد واختبار اليقين:

يتجسد الحجاج المضاد واختبار اليقين في المقطع الذي يحيل إلى أزمة اليقين الإيديولوجي لدى صلاح عبر المقارنة التاريخية القاسية التي يطرحها والد نورا العجوز. إذ يمثل هذا الحوار جزءًا من الجدل المعرفي والحجاج المضاد الذي يواجهه صلاح، حيث يستخدم والد نورا تجربته التاريخية والاجتماعية ليزرع الشك في قناعات صلاح الأيديولوجية المتعلّقة بفشل الثورة الاشتراكية في تحقيق العدالة والكرامة للمواطن اليمني بعد الاستقلال: "في زمن الإنجليز، كان الفقير يجهل أنه فقير. بعد الاستقلال، لم يُدرك الفقير مرارة أنه فقير فحسب، بل راح يتباهى بفقره"(زين، 2020، ص 176). حيث يمثل هذا الملفوظ حجاجًا معرفيًا مضادًا، فهو لا يكتفي بإثبات فشل الثورة في تحقيق وعودها المادية، إنما يذهب إلى أبعد من ذلك ليطعن في التحول القيمي والمعرفي الذي زعمته الثورة الاشتراكية. وترد إشارة والد نورا إلى أن الفقير أصبح (يتباهى بفقره) لتكشف عن فشل المشروع الثوري في منح الفرد اليمني كرامة حقيقية؛ إذ أُجبر على أداء دور إيديولوجي زائف، مثلما يفعل صلاح نفسه في حياته، حيث يظهر الافتخار ببؤسه الذي يمثل آلية بقاء أو شكلًا من أشكال الخضوع للخطاب الاشتراكي المتآكل الذي تآكلت قيمه. فهذا التناقض المرير عمل على زعزعة كفاية صلاح المعرفية التي كانت مبنية على يقين الثورة؛ إذ يكتشف صلاح أن الإطار النظري الذي آمن به كان سببًا في تدهور حال الإنسان اليمني نفسيًا بدلًا من تحريره، مبينًا أن الانهيار الأيديولوجي هو الجزاء السلبي الذي حصدته الذوات من هذا المشروع. فقبول صلاح لبرنامج التدوين (الكتابة) يتجاوز كونه مجرد استجابة للعقد التلفظي السابق (أمر نورا)، ليمثل إنجازًا معرفيًا ناتجًا عن اعترافه بالخيبة، حيث تحولت مهمة الكتابة لديه من واجب عاطفي إلى توثيق إلزامي لفشل الأيديولوجيا.

لذلك ظهرت سيميائية التطويع من خلال حكايات نورا التي حفزت صلاح في استمرار الحكي، وخطابات جياب التي حفزت الجماهير، بينما حفرت مناقشات الرفاق التفكيرَ في الهروب. وهذا يدلل على دور سيميائية التطويع بصفتها المحرك الرئيس للذوات وبرامجها نحو العمل والإنجاز والجزاء الذي تتلقاه. إذ تبين أن فاكهة للغربان قدمت خطاطة حكائية غنية تشابكت فيها أنواع التطويع الإيديولوجي والاستهوائي، من الثورة والعلاقات الشخصية، مع الكفاية الكلامية بصفتها جسرًا للفعل، وكذلك الإنجاز التداولي والمادي بين النجاح الجزئي والفشل، والجزاء السلبي الذي بيّن الانهيار. إذ شكل الكلام العامل المركزي الذي حفز الذوات، وأبرز كفاءاتها، وحدد إنجازاتها، وقيم جزاءها، فأحال هذا إلى سيميائية الكلام التي تتجاوز الفعل المادي إلى الفعل الرمزي والتواصلي، مبينة تناقضات التجربة الثورية وأزمة الإنسان اليمني في ظل الخراب والصراع.

المبحث الثاني: التطويع المتعدد في رواية بلاد بلا سماء:

يتعدد التطويع في هذه الرواية ما بين التسلطي والذهني والإغراء وتوظيف المتخيل؛ يحضر التطويع في البداية بوصفه تطويعًا بالسلطة والإكراه، حيث يتجسد المرسل في البنية الاجتماعية والثقافية الصارمة للمجتمع اليمني، وهو كيان معياري يتشخص في ذوات فاعلة مثل الأب (ناشر النعم)، والحاج سلطان، والدكتور عقلان، والقبيلة بوصفها كيانًا اعتباريًا؛ ويفرض هذا المرسل الجمعي على الذات (سماء ناشر النعم) برنامجًا حكائيًا قسريًا يتمثل موضوعه القيمي في الخضوع لمعايير الشرف والعفة، مع تركيز مكثف على السيطرة على الجسد الأنثوي بوصفه حقل دلالة للهيمنة الذكورية، وهو ما تعيه سماء بمرارة حين تقول في يومياتها: "كل من حولي يشعرني بأنني لست بشرًا لي عقل وروح، وإنما أنا مجرد أداة للمتعة. اختزلوا وجودي الإنساني في مثلث صغير نجس وأهملوا الباقي"(الأهدل، 2012، ص 20).

وتظهر دينامية التطويع في محاولة سماء بناء كفاءة معرفية لفهم واقعها القمعي من خلال فعل كتابة اليوميات، الذي يمثل برنامجًا مضادًا تسعى عبره لإثبات كينونتها وتأويل نظرات الرجال والضغوط الأسرية؛ إلا أن الحداثة بوصفه موضوعًا قيميًا تظل بعيدة المنال، مما يضعها في مواجهة غير متكافئة مع المعيقين (الأب، الدكتور، القبيلة) الذين يمتلكون سلطة المنع والردع، فالأب يمثل سلطة الرقابة المباشرة حيث تصفه سماء: "والدي صار خصمًا لي يناصبني العداء... وكأنني لغم سينفجر تحت قدميه في أية لحظة يغفل فيها عن مراقبتي" (الأهدل، 2012، ص 19)، بينما يمارس الحاج سلطان تطويعًا تلصصيًا بالمراقبة والوشاية، ويمارس الدكتور عقلان تطويعًا مؤسسيًا بالخداع والتلاعب والإغراء والإخضاع، مما يحول دون تحقيق سماء لاستقلالها.

وينغلق هذا المسار بالجزاء الذي يكشف عن نجاح المرسل السلطوي في استعادة توازنه؛ حيث تجلى الجزاء في اختفاء سماء النهائي، وهو عقاب نفي يُقصيها من الوجود الاجتماعي لفشلها في التمرد، بينما نالت القبيلة مكافأة رمزية باستعادة شرفها عبر السردية الخرافية التي بررت هذا الاختفاء، محققة بذلك التعرف الشعبي الذي حفظ ماء وجهها أمام المجتمع، لتظل الذات (سماء) ضحية لآليات قمع حولت حياتها إلى حصار دائم، كما عبّرت عنه: "أشعر أني محاصرة، المجتمع يحاصرني من كافة الجهات" (الأهدل، 2012، ص 19).

التطويع الذهني عبر أحلام سماء وعلي نشوان:

ينتقل التطويع، في فضاء الحلم، من المستوى الاجتماعي الظاهر إلى مستوى التطويع الذهني والنفسي، حيث تخضع الكلمة والصورة الحلمية لاستراتيجية هيمنة تخترق اللاوعي؛ فالحلم في الرواية يتجاوز كونه فضاءً للتحرر، ليغدو امتدادًا لسلطة المرسل التي تعيق تحقيق تحيين رغبة سماء وعلي نشوان في الواقع، لتعيد إنتاجها مشوهة في المنام. ويمثل الحلم المنشطر بين سماء وظلها (علي نشوان) رغبة مكبوتة في التحرر، تصطدم بسلطة ميتافيزيقية واجتماعية واسعة.

ويتخذ التطويع في الحلم طابع الإغراء المقترن بالرهبة، حيث يظهر الرجل الغامض (العريس/الجني) بوصفه ذاتًا فاعلة عليا تمارس تطويعًا استلابيًا يهدف إلى السيطرة على عقل سماء وجسدها؛ ويتجلى ذلك بوضوح في رمزية الكتاب الأبيض الذي يحمله الرجل في الحلم، والذي يمثل عقدًا إذعانيًا يطلب التصديق دون معرفة، وهو ما يسلب سماء كفايتها الإرادية الواعية، حيث تصف لحظة الاستلاب في الحلم: "وجدت نفسي أنتزع الكتاب الأبيض من يده... الكتاب ليست به كتابة ... لم أعد أستطيع تحريك أعضائي... أحسست بلذة عميقة وأنا أذوب وجدًا وحبًا في كينونة لا تُسمّى" (الأهدل، 2012، ص 119-122). ويكشف هذا المشهد عن نجاح المُطوِّع الميتافيزيقي في بسط هيمنته عبر استهداف الكفاية العاطفية للذات الحالمة (سماء)؛ إذ أغرقها في حالة من نشوة الاستلاب، التي عطّلت وعيها مما أفضى إلى تعطيل كفايتها الجهية المتمثلة في شلل القدرة على الفعل، وجعل الانتقال من حيز الرغبة إلى حيز الإنجاز مستحيلًا وبذلك، انزاح الحلم من كونه فعلًا مقاومًا، ليغدو طقسًا من طقوس الاستلاب، حيث ارتضت سماء بلذة الفناء بدلًا عن تحقيق كينونتها.

أما علي نشوان، الذي يمثل صدى لأحلام سماء، فقد خضع لنفس آليات التطويع الذهني، حيث صدق الوهم وانقاد خلف الرموز الحلمية (الكتاب الأبيض، الرجل) التي رآها في الواقع/المتخيل، مدفوعًا برغبة في محاكاة الفعل البطولي الذي عجز عنه سابقًا، إلا أن افتقاره للكفاءة المعرفية والقدرة على مواجهة السلطة الواقعية (القبيلة) حولته من مساعد لسماء إلى ضحية، لينال جزاءً تداوليًا قاسيًا وهو القتل؛ وبذلك ظهر الحلم أداة سلطوية مارست فعلها في تشكيل معتقدات سماء ونشوان وتوجيه مصائرهما نحو الفناء أو التغييب، ليتبين لنا سطوة التطويع الذي لم يترك مساحة لنجاتهما حتى في المنام.

توظيف المتخيل الشعبي ولعبة الحقيقة:

وظّف المتخيّل الشعبي في هذه الرواية بوصفه أداة ناجعة لتشكيل الكلام والتأثير، وبناء علاقة تواصلية بين أطراف التلفظ قائمة على ميثاق استيثاقي ضمني، إذ اتفقت الذوات المتلفظة والمتلفظ لها على تأثير الكرامات وآمنت بالشعوذة والسحر والغيبيات والأقدار، مع تغييبها للعقل وخضوعها لسلطة الرقابة المجتمعية والأعراف؛ وقد أسهم هذا المتخيّل في ترسيخ سلطة المتلفظ وإثارة الخوف الذي وظفته بعض الشخصيات ببراعة لتمرير برامجها السردية، فقد ادعى الدكتور عقلان امتلاكه مكاشفات روحانية، مستندًا إلى الاعتقاد الشعبي بالقوى الخارقة ليضفي على ذاته هالة من القداسة ويؤثر في المحقق عبد ربه، محاولًا بأسلوب فيه استعلاء معرفي تحييد الشكوك عنه والطعن في أخلاق الضحية سماء، حيث يقول في حواره مع المحقق: "أنا رجل لمّاح.. عندي مكاشفات روحانية.. أفهم سريرة البني آدم من مجرد حركة واحدة بسيطة" (الأهدل، 2012، ص 26)، وهو بذلك يمارس تطويعًا تلفظيًا يوهم المتلقي بأن معرفته تستند إلى بصيرة تتجاوز الظاهر، مما يجعله في موقع السلطة الرمزية.

كما استغل المشعوذ المعتقدات الشعبية الراسخة بقدرة السحرة على التواصل مع الجن، ليصبح وسيطًا بين عالمين، متمتعًا بسلطة روحية واجتماعية مكنته من توجيه سلوك قبيلة سماء واستغلالها ماديًا وفكريًا؛ فلم يكتفِ بالسرد، بل دعم قوله بقرائن مادية توافق أفق انتظار القبيلة التي تبحث عن مخرج يحفظ شرفها، حيث تروي وهيبة (الأم) تفاصيل المشهد الذي هندسه المشعوذ للتأثير فيهم قائلة: "أخذ المشعوذ فلوسنا، وغاب ساعة في غرفة مظلمة، ورأيت بعينيّ هاتين حجارة البناء الذي اجتمع فيه مع الجن تهتز وتصدر جلبة تخلع القلوب" (الأهدل، 2012، ص 115)، وقد نجح هذا الإخراج المشهدي في إقناع القبيلة برواية الاختطاف من قبل عفريت لأنها توافقت مع رغبتهم الدفينة في الستر، حيث أخبرهم المشعوذ أن "سماء اختطفها عفريت من الجن شديد البأس، تصوّر لها في هيئة عريس وسيم" (الأهدل، 2012، ص 115).

ولم يقتصر توظيف الكلام الشعبي والديني على المشعوذ، بل لجأت إليه بعض الذوات لتعزيز مصداقية قولها والتأثير في الآخرين، وترسيخ الهوية الجمعية؛ إذ أضفى استخدام اللغة الدينية والممارسات الشعبية طابعًا قدسيًا جعل المتلقي غير قادر على مقاومة التصديق، مثلما فعل علي نشوان حين استدرج المحقق عبد ربه إلى دائرة المتخيل أمام شجرة الرمان، مما جعل الضابط -رغم عقلانيته المفترضة- يقع تحت تأثير اللحظة، فيقول واصفًا حالته: "جثا (علي) على ركبتيه، وراح يشهق باكيًا، وانتابتني أنا رهبة لم أعرف لها مثيلًا من قبل. شعرت بأنني في حضرة قدسيّة" (الأهدل، 2012، ص 42)، وهذا يوضح كيف أن المتخيل الشعبي يمتلك سطوة تطويعية قادرة على شل التفكير المنطقي واستبداله بالرهبة، حتى وصل الأمر بالضابط نفسه إلى اللجوء للممارسات الشعبية للخلاص من الهلوسات التي تطارده، معترفًا: "ذهبت إلى شيخ يعالج بالقرآن، فقرأ في ماء سورة ياسين، وناولنيه، وقال لي أن أشرب منه دبر كل صلاة" (الأهدل، 2012، ص 104-105).

لقد استخدم المتلفظ المتخيّل الشعبي في بناء حجج إقناعية قائمة على استغلال العواطف وتقديم وعي زائف، وأسهم هذا المتخيل في تجسيد القيم الأخلاقية والدينية وتبرير الأحداث الغريبة؛ فقد قُدّم ربط شجرة الرمان بالعفريت بوصفه تفسيرًا مُبسطًا وواضحًا للأحداث، مما أضفى عليها مظهرًا منطقيًا زائفًا، ولكنه استند في الحقيقة إلى معتقد شعبي راسخ لدى أفراد المجتمع، وهو ما جعل القبيلة تصدق رواية علي نشوان حول الرجل المجهول والكتاب الأبيض، وتتناقلها بوصفها حقيقة لا تقبل الشك، رغم غرائبيتها، لأنها تتقاطع مع مخاوفهم وآمالهم في آن واحد، وهو ما يتضح في سرد وهيبة لرواية علي: "رأى في الحديقة قرب شجرة الرمان، كهلًا مربوع الجسم... وبيده كتاب أبيض بياضه يبهر الأبصار كالبرق"(الأهدل، 2012، ص 112). وتجلى بذلك كيف أن آليات التضليل عبر المتخيّل الشعبي في الرواية عملت باستغلال المعتقدات الراسخة والتلاعب بالمخاوف الجمعية لخلق حالة من القلق والترقب، مما أسهم في تبرير الأحداث غير المنطقية وجعلها مقبولة اجتماعيًا.

مربع التحقق؛ لعبة القناع والحقيقة:

يخضع التطويع في هذا السياق لمقولتي الظهور والكينونة، حيث يمارس المشعوذ والقبيلة لعبة تبادلية للأدوار داخل مربع التحقق لطمس الحقيقة الواقعية واستبدالها بحقيقة وهمية مقبولة اجتماعيًا؛ فالمشعوذ يحتل محور الكذب بامتياز، إذ يحرص على الظهور بمظهر العارف والقادر على التواصل مع الجن عبر طقوس مسرحية، موهمًا المتلقي بامتلاك قدرة خارقة، بينما هو في واقع الأمر يفتقر إلى أي قدرة حقيقية على كشف المصير الفعلي لسماء (اللاكينونة)، وقد نجح في هذا الإيهام لأنه خاطب اللاوعي الجمعي للقبيلة، مقدمًا لهم مسرحية صدّقوها لأنها توافق هواهم، حيث تصف الأم المشهد في ملفوظها: "رأيت بعينيّ هاتين حجارة البناء... تهتز وتصدر جلبة تخلع القلوب (الأهدل، 2012، ص 115). وفي المقابل، تتموضع القبيلة والأسرة في محور السر، فهم يدركون في قرارة أنفسهم أن اختفاء سماء هو فضيحة أو عار يجب مداراته (الكينونة)، لكنهم يحرصون على عدم إظهار هذا الشك أمام المجتمع (اللاظهور)، مدركين أن الحقيقة العارية قد تدمر مكانتهم الاجتماعية؛ ولذلك تنجح عملية التطويع عندما يتقاطع كذب المشعوذ مع سر القبيلة، حيث اشترت القبيلة وَهْم المشعوذ وحولته إلى حقيقة اجتماعية معترف بها، لأن هذه الكذبة هي الوحيدة القادرة على تحويل العار إلى ابتلاء، وبذلك انتقلوا من محور السر إلى محور الزيف المقبول اجتماعيًا، وهو ما عبرت عنه الأم بصراحة كاشفةً عن هذا التعاقد الزائف بقولها: "لكي يوجد لنا ستارة نغطي بها على الفضيحة... ونحفظ بها ماء وجهنا أمام الناس"(الأهدل، 2012، ص 116)، ليكون التطويع بذلك لعبة أقنعة مشتركة ارتدى فيها المشعوذ قناع الوسيط الروحي، وارتدت القبيلة قناع المصدّق الورع، ليدفنا معًا حقيقة

الضحية تحت ركام المتخيل الجمعي، لتبين لنا أن الحقيقة في هذا المجتمع ليست ما حدث فعلًا، إنما ما اتفقت الذوات على تصديقه.

المبحث الثالث: التطويع التوجيهي والمقاوم في رواية عقيلات:

تتمحور رواية عقيلات حول استراتيجية التطويع التلفظي التي تقودها جُود عبر مفكرتها الخضراء، لتمارس سلطة توجيهية ناعمة تهدف لنقل الساردة روضة من موقع التلقي السلبي للقهر الاجتماعي إلى مقام الفعل والكتابة. ويمثل المُرسِل هنا الوعي النسوي المتمرد الذي يواجه ضغط النسق البطريركي المهيمن؛ حيث يشتغل التطويع بوصفه آلية تداولية لتحيين كفاية الذات، وتغيير جهتها من العجز والصمت إلى القدرة على فضح المسكوت عنه وتعرية أوجاع النساء العقيلات. وفي المقابل، تكشف الرواية عن المرسِل المضاد بوصفه السلطة المنظمة المتمثلة في الأب والخطاب العائلي والنظام الاجتماعي، أو ما تسميه الرواية (الذهنية شبه الجمعية) التي تمارس الوصاية على النساء وتفرض برنامجها الحكائي الإكراهي. يتحكم هذا المرسِل في خيارات الشخصيات اليومية ومساراتها العاملية، ويحدد جهات الوجوب والمنع؛ ما يجب فعله وما يُمنع عليهن، فوّضَعَ الذوات في موقع المتلقي لضغط نفسي ومعرفي كبير. فالاستراتيجيات الخطابية التي تستخدمها الذوات لا تنفصل عن الصراع التذاوتي المحتدم حول امتلاك حق الكلام وتوجيه الفعل؛ إذ تظهر بنية دينامية تتجاذبها قوتان: قوة الإخضاع التي يمارسها النسق الاجتماعي الذكوري عبر التطويع التوجيهي، وقوة التحرر التي تبنيها الذات الفاعلة (روضة) عبر التطويع المقاوم.

ويتخذ التطويع التوجيهي في الرواية طابعًا مؤسسيًا، يمارس فيه المرسِل (الأب/المجتمع) سلطة معرفية وقيمية تهدف إلى تعطيل الكفاية الجهية للذات النسوية وشلّ قدرتها على الفعل المستقل. ويظهر ذلك جليًا في الضغط النفسي الذي لا يهدف إلى الإقناع إنما إلى الإلزام، كما يتجلى في سطوة الأب على روضة لإجبارها على العودة إلى بيت الطاعة، حيث تصف ذلك بقولها: "ولَأعدتني كأي حيوان لا إرادة له إلى حظيرة الزوجية رغما عني، لتسلمني له بخيط طويل تمسكه أنت من رقبتي" (الكوكباني، 2012، ص 34). حيث يتحول هذا الفعل الأبوي إلى فعل إنجازي قسري يفرض برنامجًا حكائيًا وحيدًا على الذات روضة وهو الخضوع دون أية محاورة، وسلب كفايتها في الرغبة والقدرة.

تنهض روضة، وهي الذات المتلفظة -والكاتبة أيضًا- بصفتها الذات الفاعلة الرئيسة لتمثل مركز البرنامج المضاد، حيث تبدأ بتأسيس استراتيجية تعتمد على التطويع المقاوم، الذي يحوّل الكلام من أداة طاعة إلى أداة تمرد. ويظهر هذا عبر وعيها بالذات الجماعية للمعاناة المشتركة مع النساء الأخريات: "جميعنا متشابهات وإن اختلفت جزئيات خاصة بكل واحدة منا... لذلك قررت أن أكتبنا"(الكوكباني، 2012، ص 6). فملفوظها هذا يوضح إدراكها لتشابك مصيرها مع مصير الأخريات، مما ولّد حاجة لديها لمقاومة البرنامج الحكائي المفروض.

يتجلى دورُ جُود ذاتًا مساعدة ومطوّعة في آن واحد، حيث تستثمر علاقتها الحميمية مع روضة لدفعها نحو الفعل: "نظرت إلى بود وهي تسألني: لماذا توقفتِ عن الكتابة يا روضة؟"(الكوكباني، 2012، ص 23). يمثل هذا السؤال فعلًا توجيهيًا تحفيزيًا، يستهدف ترميم الهوية الكتابية لروضة، ويظهر كيف يمكن للاستفهام أن يتحول إلى فعل مقاومة يُعيد تشغيل الذات الكاتبة.

وتتصاعد وتيرة المقاومة حين تتجاوز كل من الأم وَجُود دور المتفرج لتصبحا مرسَلًا مفوضًا يمنح الذات الفاعلة (روضة) الإذن بالكلام، ويتضح ذلك في طلب الأم المباشر: "اكتبي عقيلات يا روضة... حتى تشعري أنني كنت دائمًا معكن حتى لو لم أقف يومًا في مجابهة أبيك أو الصدام معه من أجلكن لقد حان الوقت ليثمر الظلم والقهر عدلًا وسلامًا"(الكوكباني،

2012، ص 54–55). يمثل هذا الملفوظ تطويعًا تحفيزيًا وتمكينيًا، حيث دفعت الأم ابنتها إلى اتخاذ قرار يعيد تشكيل هويتها السردية، نتيجة تطور الكفاية المعرفية للأم، وتغير نظرتها لدور المرأة في المجتمع، وتأثير رغبة روضة وإصرارها على الكتابة. فقد تضافرت جهود روضة وَجُود لتعديل قناعات الأم عبر التساؤلات التحفيزية، مما ساعدها على إعادة ترتيب سرديتها ومواجهة تناقضات الأب وسلوكه. وعندما وجهت الأم الأمر: (اكتبي عقيلات يا روضة)، فقد تحول دورها من المتلقي السلبية إلى الداعم الفاعل، مما عزز ثقة روضة وكفاءتها في مواجهة القهر وإنتاج خطاب مقاوم.

وتجاوز دعم الأم حدود التطويع التوجيهي ليصبح أفعالًا ملموسة عبر الإنجاز المساعد، إذ وفرت لروضة جهاز الحاسوب وشاركت في القلق التداولي بشأن ردود فعل الأب وأفراد المجتمع، خاصة بعد نشر مفكرة جُود. وعندما تحقق الإنجاز بصدور الرواية، كانت الأم أول المباركين، مبينة أن الكتابة ستستمر بوصفها أداة مقاومة، وأن لا أحد سيتمكن من إسكات صوتها طالما تجاوزت حاجز الخوف وحولت معاناتها إلى إنتاج سردي. أما مواجهة الأب، فقد لجأت روضة إلى استراتيجية التحايل الذكي، إذ أقنعته بأن الرواية نُشرت باسم مؤلف مستعار (روضة حسين)، لتفادي المواجهة المباشرة مع سلطته. وهنا يظهر بأن الكلام أصبح أداة للمقاومة، والتوجيه، والإنجاز، وإعادة تشكيل الواقع.

تصل الرواية إلى مرحلة الجزاء، حين تفصح روضة عن شعورها بالتحقق: "شعوري بالسعادة بما أنجزت لا حدود له... كم هي الكتابة رائعة وممتعة، تجلي عن النفس كل ضيق وهم تواجهه... أشعر بإرهاق لذيذ يتقاذفني" (الكوكباني، 2012، ص 137). ويتوسع الجزاء لشمل البعد الجماعي: "أشعر بالقلق من ردود فعل أمي وَجُوْد وابنتي على ما كتبت... سأستمر لحين وصول ردودهن"(الكوكباني، 2012، ص 137). يظهر هنا التجلّي النهائي للخطاطة التلفظية؛ حيث أصبحت الكتابة قناة لإعادة توزيع السلطة الرمزية وتحويل الألم الفردي إلى وعي جمعي لبقية النساء. وبذلك استعادت روضة بذلك سلطة الكلام لنفسها، مستندة على كفايتها الجهية في الفعل؛ الإرادة المعرفة والقدرة.

التطويع بالرواسم اللغوية:

تسهم الرواسم اللغوية في صناعة سلطة كلامية رمزية موجهة من قبل السلطة التلفظية المتمثلة في أفراد المجتمع والأسرة، نحو الفتاة، حيث تمارس هذه الرواسم فعلًا اختزاليًا يُقوض حضور الذات، ويسلبها فاعلية الإرادة. فهي تعبر عن سلطة وظفت الكلام المسكوك لتكريس الدونية عبر تحويل الأقوال الفردية إلى سلطة مرجعية للمأثور الشعبي، بهدف الاستحواذ على الفتاة وإخضاعها وإقصائها عن أي فعل كلامي أو سلطة مقاوِمة. وتضم هذه الرواسم الأقوالَ الفردية المقتطعة من سياقها، حيث تتحول إلى مسلمات يومية تضفي الشرعية على الذات المتلفظة بها. وتبين العبارة المسكوكة أيضًا توجه المتلفظ نحو تفسير معين للكلام أو توقع استجابات محددة، مما يعزز سلطته في التلفظ، حيث يستخدم الرجال هذه المسكوكات لفرض آرائهم، ويعتمدون لغة تحقيرية للمرأة تستهدف زعزعة ثقتها بنفسها وتقييد حريتها، وقد وردت هذه الرواسم في الملفوظات الآتية:

- "يا بنتي لو اخترتِ شيء سهل، مناسب لرقة البنات، بدل هذا السهر والتعب والوقفة على ارجلش طوال الليل، أنت إلا بنت مثل اسمش" (الكوكباني، 2012، ص 57).

يمارس الأب والنسق الاجتماعي تسلطًا توجيهيًا يحرم روضة من العمل في تخصصها، متذرعين بحجة جاهزة ومنها الاختلاط، بينما أبدت صديقتها الاستسلام والخضوع لقرار الأسرة بالتوقف عن التعليم، والزواج المبكر بمن اختاره لها أبيها. فدفعت الأسرة بنتها روضة إلى الشعور بكونها وحدها المسؤولة عن إخفاقاتها وإحباطاتها؛ لافتقارها المؤهلات الضرورية لمواجهة التوجيه الأسري والمجتمعي، وتحقيق ذاتها واستقلالها. فلم يكن من روضة إلا ابتلاع ألمها بصمت والشعور بالذل

خشية فقدان ما تراه الأسرة نعمة أسبغوها عليها، مما دفعها إلى تبني خطاب المهزومين مؤقتًا بترديد عبارة: "(لكل حادث حديث)"(الكوكباني، 2012، 15). وهي استراتيجية تأجيلية تخبئ خلفها إرادة كامنة للتحدي. ويتعزز هذا التطويع بحضور خطابٍ دينيّ مؤول شعبيًا، حيث تُستدعى بعض العبارات خارج سياقها الأصلي لتعزيز الكفاية الإكراهية، بتوظيف المثل في غير ما وُضع له، ويتحوّل استخدامه من الخصوص إلى العموم، كما في الملفوظ الشائع: "أن النساء حطب جهنم ووقودها" (الكوكباني، 2012، ص 57)، فقد أسهم هذا التوظيف الشعبي النفعي للنصوص في ترسيخ صورة دونية عن المرأة، وإبقائها ضمن دوائر الخضوع والتبعية عبر خطاب سلطوي مموّه بالمقدس.

- "المرأة مالها إلا الزوج أو القبر"(الكوكباني، 2012، ص 110، 111). يمثل هذا المقول روسمًا سلطويًا قهريًا استخدمته الأم للتأثير على ابنتها (ن. خ)، حينما رفضت القبول بالزواج؛ إذ وضعتها بين خيارين مُتطرفين: إما الزواج أو الموت المعنوي، مما وضع المتلفظ له تحت ضغط جهة الوجوب القسري، حيث ولّد لديها الإحساس بالقهر، وقد عززت الأم هذه المقولة بآليات الترهيب والعنف الجسدي (الصفع)، وحين لم تفلح، لجأت إلى ترسيخ المقولة التي تمثل حكما قطعيًا لا يقبل النقاش، مستهدفة كفاية الخوف لدى ابنتها من المستَقْبَل، إذ صوّرت لديها حياتها بدون زواج موتًا معنويًا، مما دفعها إلى لتفكير في رأي أمها في الزواج بوصفه ضمانًا لمستقبلها لا مفر منه. ولم تكتف الأم بذلك؛ بل لجأت إلى استخدام التطويع بالعاطفة، عبر تذكيرها بدورها بصفتها أمها وقلقها على مصير ابنتها، وهذا ما زاد من الضغط على الفتاة ودفعها إلى شعورها بالذنب إذا أصرت على رفض الزواج، لكنها أمام هذا القهر استسلمت في النهاية لبرنامج القهر فرضخت لهذا الإكراه المتمثل في الزواج، رغم استخدامها المقاومة بكل وسائل الرفض والاستجداء والتحايل.

النتائج:

أفضى هذا الاستقصاء السيميائي لنماذج من الرواية اليمنية الجديدة إلى بيان مركزية التطويع التلفظي وتجذره بوصفه مكونًا جوهريًا في الخطاب الروائي؛ فأثبت البحث حيازَة الكلام في النصوص المختارة قوةً إنجازيةً عملت على تحيين الكفايات الجهية للمتلفظ له، ونقلها من حيّز الكمون إلى التحقق الفعلي، دافعةً إياه نحو الانخراط في إنجاز الفعل المتوخَّى وتحقيق البرنامج الحكائي المستهدف.

وكشف البحث عن تباين آليات التطويع تبعًا للبنية الدلالية لكل نص؛ إذ تجلى التطويع في رواية فاكهة للغربان عبر استراتيجيات الإيهام والتعتيم التي وظفت الذاكرة والأيديولوجيا للتأثير في الكفاية الاستهوائية للمتلفظ له ودفعه نحو تدوين المرويات التاريخية، وانتهى المسار السردي بجزاء سلبي أحال إلى انهيار المشروع الجماعي للذوات. واعتمدت رواية بلاد بلا سماء على تطويع التسلط والتطويع الذهني والإيهام وسلطة المتخيل الشعبي ولعبة مربع التحقق، حيث مارست الذوات الاجتماعية (المشعوذ، القبيلة) تلاعبًا بجدلية الظهور والكينونة لطمس الحقيقة واستبدالها بخرافة مقبولة، مما أدى إلى تغييب الذات الفاعلة (سماء) وقتل المساعد (علي نشوان). في حين برز التطويع في رواية عقيلات فعلًا مقاومًا انبنى على التوجيه والتحفيز والرواسم اللغوية، موظفًا الشكوى والتحايل بين الذوات النسوية لبناء كفايتهن التداولية والسردية القادرة على مواجهة سلطة النسق البطريركي، وتحقيق الإنجاز عبر فعل الكتابة ونشره.

توصل البحث إلى امتلاك كل ذات تلفظية دينامية خاصة بها مكنتها من التنقل بين المواقع التلفظية وممارسة التأثير أو الخضوع له، مما منحها تفريدًا سيميائيًا خاصًا؛ حيث مارست نورا في رواية فاكهة للغربان سلطة تلفظية واعية انتقلت بها من موقع الضحية التاريخية الصامتة إلى موقع الذات المُطوِّعة التي أدارت دفة الحكي ووجهت صلاح بالعاطفة لتدوين مأساتها. بينما كشفت رواية بلاد بلا سماء عن خطورة التطويع حين يتحول إلى أداة لصناعة الوهم، حيث خضعت

الشخصيات لسطوة الكتاب الأبيض وسرديات الجن، وهذا يبين أن التطويع التلفظي يتجاوز كونه إقناعًا، إلى عملية إنتاج لأثر الحقيقة وفق مصالح القوى المهيمنة.

تباينت استراتيجيات التطويع تبعًا لطبيعة أثر المعنى المستهدف؛ فبينما اشتغلت روايتا عقيلات وبلاد بلا سماء على تحيين كفاية الإرادة (الرغبة في الفعل) عبر آليات التوجيه والاستهواء لمقاومة الإكراه الاجتماعي المباشر، انزاحت رواية فاكهة للغربان نحو مستوى تداولي أكثر تعقيدًا استهدف كفاية المعرفة عبر سلطة الذاكرة التي عطلت القدرة. وهذا يبيّن مرونة مفهوم التطويع التلفظي وقدرته على التكيف الإنجازي: فمن تطويع يسعى إلى بناء ميثاق تلفظي غيّر قناعات الذات تجاه حاضرها، إلى تطويع مارس ضغطًا جهيًا استمد سطوته من ثقل الأيديولوجيا، مما أبرز اختلافًا في الكفاية التداولية للمتلفظ وتعددًا في مسارات إنتاج المعنى والتأثير.

أظهر البحث تكامل سيميائية الكلام مع سيميائيات العمل والأهواء، وتوَافقَ مع الطروحات التي أبرزت الأهمية الكبيرة للتداولية والاستعمال في تشييد سيميائية اهتمت بالتطويع التلفظي؛ إذ مثّل التلفظ العتبة الرئيسة لفهم طبيعة العلاقات البينذاتية وتشكل الهويات داخل السرد. وكشف البحث، في إطاره النظري، عن تضافر جهود نقدية متعددة - بموازاة اشتغالات قريماس وكورتيس والداهي- أجمعت على محورية المستوى التداولي في تطوير مشروع سيميائية الكلام الروائي الذي اختطه الداهي؛ وهي سيميائية تجاوزت حدود التواصل المجرد لتصل إلى التأثير والإقناع وتحريك البرامج الحكائية وضمان تحققها داخل النص، لتظهر لنا أن الرواية اليمنية الجديدة تمتلك وعيًا عميقًا بسلطة التلفظ وقدرتها على تشكيل مصائر الذوات.

المراجع:

آدمز، ج. ك. (1986). *التداولية والسرد*. (خالد سهر، ترجمة). دار الشؤون الثقافية العامة.

الأهدل، و. (2012). *بلاد بلا سماء*. دار التنوير.

أوبرسفيلد، آن. (1996). *مدرسة المتفرج: قراءة المسرح (2)* (حماده إبراهيم، سهير الجمل، ونورا أمين، ترجمة). مركز اللغات والترجمة؛ أكاديمية الفنون.

بارث، ر. (1998). *السلطة واللغة* (عبد السلام بنعبد العالي، ترجمة). *مجلة فكر ونقد*، (6). 135-36.

بروتون، ف. (2022). *التضليل الكلامي* (علي يوسف أسعد، ترجمة). صفحة سبعة للنشر والتوزيع.

بيرلمان، ش.، وأولبرخت، ت. (2023). *المصنف في الحجاج: الخطابة الجديدة* (محمد الولي، ترجمة). دار الكتاب الجديد.

بنكراد، س. (2026). *الشرعية وسلطة المتخيل*. دار الحوار.

بنفنست، إ. (2008). الجهاز الشكلي للقول (منصور الميغري، ترجمة). في ع. المجدوب (المشرف)، *مختارات من نصوص لسانية*. بيت الحكمة.

بورديو، ب. (2007). *الرمز والسلطة* (عبد السلام بنعبد العالي، ترجمة). دار توبقال للنشر.

حضري، ج. (2013). سيميائية الخطاب السياسي. *مجلة الخطاب*، (15)، 27-48.

الداهي، م. (2011). سيميائية التطويع. *عالم الفكر، 1* (40)، 105-113.

الداهي، م. (2021). *السارد وتوأم الروح من التمثيل إلى الاصطناع*. المركز الثقافي للكتاب.

الداهي، م. (2006أ). *التشخيص الأدبي للغة في رواية "الفريق" لعبد الله العروي*. دار الأمان.

الداهي، م. (2006 ب). *سيميائية الكلام الروائي*. منشورات المدارس.

الداهي، م. (2009). *سيميائية السرد: بحث في الوجود السيميائي المتجانس*. رؤية للنشر والتوزيع.

روبول، آ، وموشلار، ج. (2003). *التداولية اليوم: علم جديد في التواصل* (سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، ترجمة). المنظمة العربية للترجمة.

زين، أ. (2020). *فاكهة للغربان*. منشورات المتوسط.

سعيد، س. ج. (2008). *سيكولوجية الاتصال الجماهيري*. عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع.

الصافي، ح. (2011). *سيميائيات أيديولوجية*. محاكاة، ودار النايا.

عبد الرحمن، ط. (1998). *اللسان والميزان أو التكوثر العقلي*. المركز الثقافي العربي.

قريماس، أ. ج.، وكورتيس، ج. (2019). *السّيميائية المعجم المعلّل في نظريّة اللّغة*، (أحمد الودرني، ترجمة). *دار المتوسطية للنشر*.

كريماص، أ. ج، ولندوفسكي. إ. (1999). *التداولية والسيميائية* (محمد الداهي، ترجمة). *مجلة علامات، 9*(33)، 313-314.

الكوكباني، ن. (2012). *عقيلات*. (ط. 3). مركز عُبادي للدراسات والنشر.

ماتن، ر. وينجهام، ف. (2008). *معجم مصطلحات السيميوطيقا* (عابد خزندار ترجمة). المركز القومي للترجمة.

هدسون، د. (1987). *علم اللغة الاجتماعي* (محمود عياد، ترجمة). دائرة الشؤون الثقافية العامة.

References

Adams, J. C. (1986). *Pragmatics and Narration* (Khaled Sahar, Trans.). Dar Al-Shu'oon Al-Thaqafiyyah Al-'Aammah.

Al-Ahdal, W. (2012). *A Land Without Sky*. Dar Al-Tanweer.

Ubersfeld, A. (1996). *The School of the Spectator: Reading Theatre (2)* (Hamada Ibrahim, Suheir Al-Jammal & Nora Amin, Trans.). Center for Languages and Translation; Academy of Arts.

Barthes, R. (1998). *Power and Language* (Abdessalam Benabdelali, Trans.). *Fikr wa Naqd*, (6), 135–136.

Breton, P. (2022). *Verbal Manipulation* (Ali Youssef Asaad, Trans.). Page Seven Publishing and Distribution.

Perelman, C., & Olbrechts T. (2023). *The Treatise on Argumentation: The New Rhetoric* (Mohammed Al-Wali, Trans.). Dar Al-Kitab Al-Jadeed.

Benkoraad, S. (2026). *Legitimacy and the Power of the Imaginary*. Dar Al-Hiwar.

Benveniste, Émile. (2008). *The Formal Apparatus of Enunciation* (Mansour Al-Mighri, Trans.). In A. Al-Majdoub (Ed.), *Selected Linguistic Texts*. Beit Al-Hikma.

Bourdieu, Pierre. (2007). *Symbolic Power* (Abdessalam Benabdelali, Trans.). Dar Toubkal Publishing.

Hadari, J. (2013). *Semiotics of Political Discourse*. *Al-Khitab Journal*, (15), 27–48.

Al-Dahi, Mohammed. (2011). *Semiotics of Domestication*. *Alam Al-Fikr*, 40(1), 105–113.

Al-Dahi, Mohammed. (2021). *The Narrator and the Twin Soul: From Representation to Fabrication*. Al-Markaz Al-Thaqafi lil-Kitab.

Al-Dahi, Mohammed. (2006a). *Literary Diagnosis of Language in Abdullah Al-Arwi's Novel "Al-Fareeq"*. Dar Al-Aman.

Al-Dahi, Mohammed. (2006b). *Semiotics of Narrative Speech*. Al-Madares Publications.

Al-Dahi, Mohammed. (2009). *Semiotics of Narration: A Study in Homogeneous Semiotic Existence*. Ru'ya Publishing and Distribution.

Ropoul, A., & Moeschler, J. (2003). *Pragmatics Today: A New Science of Communication* (Seifeddine Daghfous & Mohammed Al-Sheibani, Trans.). Arab Organization for Translation.

Zein, A. (2020). *Fruit for Crows*. Al-Mutawassit Publications.

Saeid, S. J. (2008). *The Psychology of Mass Communication*. Modern Books World for Publishing and Distribution.

Al-Safi, H. (2011). *Ideological Semiotics*. Muhakat Publishing & Dar Al-Naya.

Abd Al-Rahman, Taha. (1998). *The Tongue and the Balance, or Rational Multiplicity*. Arab Cultural Center.

Greimas, A. J., & Courtés, J. (2019). *Semiotics: The Reasoned Lexicon of Language Theory* (Ahmed Al-Wadhrani, Trans.). The Mediterranean Publishing House.

Greimas, A. J., & Landowski, E. (1999). *Pragmatics and Semiotics* (Mohammed Al-Dahi, Trans.). *Aalamat Journal*, 9(33), 313–314.

Al-Kawkabani, N. (2012). *'Aqeelaat* (3rd ed.). Obadi Center for Studies and Publishing.

Mathen, R., & Ringham, F. (2008). *Dictionary of Semiotics Terminology* (Abed Khazandar, Trans.). National Center for Translation.

Hudson, R. A. (1987). *Sociolinguistics* (Mahmoud Ayyad, Trans.). Department of Cultural Affairs.